أصول براهين المعاد

الباحث

أ.م.د / أحمد بن محمَّد بن حاسن القرشي

أستاذ العقيدة المشارك بقسم الشريعة

بكلية الشريعة والأنظمة

بجامعة الطائف بالمملكة العربية السعودية

أصول براهين المعاد

أحمد بن محمَّد بن حاسن القرشي
قسم: الشريعة ، كلية الشريعة والأنظمة، جامعة الطائف ، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: asem44556677@gmail.com

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، فالوحي الإلهيّ ــ وبخاصّة القرآن الكريم ــ مملوءٌ بالحديث عن اليوم الآخر ، وما يتضمَّنه من مسائل ومشاهد ، وقد أبدى وأعاد ﷻ في تناول أمر المعاد ، كلّ هذا لعلمه سبحانه بما يصلح النَّفس البشريَّة ، ويرفعها من قبضة الطِّين إلى النَّفخة الرّبَّانيّة ، فالشَّهوات تثقل البدن ، وتجذبه إلى الأرض ، والقرآن بما اشتمل عليه من حقائق كبرى ، وأصول عِظَام ، ووعد بالجنّة وما فيها من رضوان الله ، ونعيمه المقيم الدائم ، ترفعه إلى أن يسمو بروحه إلى العالم العلوي، ولهذا جاء هذا البحث للحديث عن أصول براهين المعاد، وقد قسمته إلى مقدّمة ، وخمسة مباحث ، وخاتمة، فالمقدّمة اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والمبحث الأَوّل : خلاصة مقالات النَّاس في المعاد، والمبحث الثَّاني : كمال العلم الإلهي، والمبحث الثّالث : كمال القدرة الإلهيَّة، والمبحث الرَّابع : كمال الإرادة الرّبَّانيَّة، والمبحث الخامس : كمال الحكمة الرّبَّانيَّة، ثم الخاتمة .

الكلمات المفتاحية: أصول ، براهين، المعاد.

أصول براهين المعاد

The origins of the proofs of the resurrection

Ahmed bin Mohammed bin Hasen Al-Qurashi
Department: Sharia, College of Sharia and Regulations, University of Taif, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: asem44556677@gmail.com

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds, for the divine revelation – and in particular the Noble Qur'an – is full of hadiths about the Last Day, and what it contains of issues and scenes, and He has expressed and repeated in dealing with the matter of the Day of Resurrection. Lusts weigh the body and attract it to the earth, and the Qur'an, with its great truths, great principles, a promise of heaven and what it contains of God's pleasure, and his everlasting bliss, raises it until he ascends his soul to the higher world, and that is why this research came to talk about the origins of the proofs of the Resurrection. I divided it into an introduction, five sections, and a conclusionThe third topic: the perfection of divine power, the fourth topic: the perfection of the divine will, and the fifth topic: the perfection of divine wisdom, then the conclusion.

Keywords: origins, proofs, recurrence.



المقدّمـــة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ **[الأنعام : ١ ــ ٢]** .

الحمد لله الَّذي هدى بأنبيائه ورسله من شاء من عباده إلى الإيمان بالغيب ، وجعله من أخصّ صفات عباده المتّقين ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣] .

فالإيمان بالغيب أمر لازم لتحقيق الإيمان باليوم الآخر ، ومعاد الخلق إلى الله تعالى ، فالفطرة البشريَّة تدعو إلى هذه الحقيقة الكبرى ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ **[الرُّوم:٣٠]** ، وهو مقتضى أسمائه وصفاته ، فهو القاهر ، الَّذي قهر جميع خلقه ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ **[الأنعام:٦١ــ٦٢]**.

فالوحي الإلهيّ ــ وبخاصّة القرآن الكريم ــ مملوءٌ بالحديث عن اليوم الآخر ، وما يتضمّنه من مسائل ومشاهد ، وقد أبدى وأعاد ﷻ في تناول أمر المعاد ، كلّ هذا لعلمه سبحانه بما يصلح النّفس البشريَّة ، ويرفعها من قبضة الطِّين إلى النَّفخة الرّبَّانيّة ، فالشّهوات تثقل البدن ، وتجذبه إلى الأرض ، والقرآن بما اشتمل عليه من حقائق كبرى ، وأصول عِظَام ، ووعد بالجنّة وما فيها من رضوان الله ، ونعيمه المقيم الدائم ، ترفعه إلى أن يسمو بروحه إلى العالم العلوي .

فالحياة على ظهر الأرض أمدها قصير ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النَّازعات : ٤٦] .

بل الحياة الحقيقيَّة الدائمة هي ما بعد الموت والبعث والنُّشور ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

وفي الوقت الحاضر برزت مذاهب إلحاديَّة ، وأفكار فلسفيّة اجتالت شعوب الأرض ــ إلاَّ من رحم الله ــ على يد شياطين الإنس والجنّ ، تارة في صورة الكشوف العلميَّة ، وتارة عن طريق مذاهب فكريّة منحرفة ، وتارة أفكار فلسفيَّة غابرة ، تُبْعَثُ من ركام الجاهليَّات القديمة والمعاصرة ، وتُطرح عبر مناهج التَّعليم ، ووسائل الإعلام ، ويتلقَّفها السُّذَّج والبسطاء ، مِمَّن ضعف في قلوبهم آثار النُّبوَّات .

وقديمًا اشترط المتكلّمون للإيمان بالغيبيّات الَّتي يسمّونها السمعيّات ، شرطين ، وهما :

١ ــ أن يصحّ بها النّقل .

٢ ــ عدم الاستحالة عقلاً . قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: ((وأمَّا أمر المعاد فيجعلونه كلّه من باب السمعيّات؛ لأنَّهُ ممكن في العقل ، والصّادق أخبر به))[1] .

وقال ابن القيِّم : ((ولهذا كان أصحّ القولين أنّ المعاد يُعلم بالعقل ، وأنّ السّمع ورد بتفصيل ما يدلّ العقل على إثباته ... وأنّ الله سبحانه يضرب لهم الأمثال المعقولة الَّتي تدلّ على إمكان المعاد تارة ، ووقوعه أخرى ، فيذكر أدلّة القدرة الدالّة على إمكان المقدور ، وأدلّة الحكمة المستلزمة لوقوعه))[2] .

---

(١) شرح الأصبهانيَّة (ص ٢٦) ، وانظر : درء التَّعارض (١ /١٧٧) .

(٢) الرِّسالة التّبوكيّة ضمن مجموع الرّسائل (ص ٨٠) آثار ابن القيِّم .

فدعت الحاجة إلى إبراز براهين المعاد ، والدِّلالات العقليَّة النَّقليَّة عليه ، ومن أبرز تلك الدلالات ((قاعدة الكمال المطلق)) فهو عزّ شأنه ((كما قال : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] لكمال حياته وقيّوميّته ، و ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ [سبأ : ٣] لكمال علمه ، ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] لكمال قدرته ، ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] لكمال عدله وغناه ورحمته ، و ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : ٥٢] لكمال علمه وحفظه ، ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] لكمال قدرته وقوّته ، ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام:١٤] ، و ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص : ٣] لكمال صمديّته ، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] لتفرّده بالكمال المطلق الَّذي لا يُشاركه فيه غيره)) (١) . فكان هذا البحث الَّذي اهتديت إليه من قراءة لتراث الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة ــ رحمه الله ــ وبخاصّة كتاب الفوائد ، فقد أشار إلى هذا بقوله : ((وهو سبحانه يقرِّر المعاد بذكر كمال علمه ، وكمال قدرته ، وكمال حكمته)) (٢) .

وجعلت عنوانه : ((**أصول براهين المعاد**)) .

واتّبعت فيه منهج الاستقراء والتَّقرير ، دون مناقشة وردود على المنكرين للمعاد أو المنحرفين فيه ؛ فمكان ذلك المطوّلات من المصنَّفات ، ككتاب الصَّفديَّة لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رحمه الله .

---

(١) الصَّواعق المرسلة (٤ /١٤٤٤) .

(٢) الفوائد (ص ٦) .



الدِّراسات السَّابقة :

أمَّا ما يتعلّق بالدِّراسات الَّتي تناولت موضوع المعاد فهي على النّحو التَّالي :

١ ــ المعاد الأخروي وشبهات العلمانيين ، عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة ، تأليف : عوّاد العنزي .

٢ ــ البعث والخلود بين المتكلّمين والفلاسفة ، تأليف : علي آرسلان .

٣ ــ منهج أهل السُّنَّة والجماعة في إثبات أصول الدِّين التوحيد والبعث والنبوّة ، تأليف: محمَّد عبد الهادي .

٤ ــ احتجاجات شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة بالبراهين العقليّة في القرآن الكريم في التَّوحيد والنبوّة والمعاد ، تأليف : حنان بنت صالح القريشي .

٥ ــ البعث عند الفلاسفة وموقف الإسلام منه ، الباحث : عبد الكريم الحميدي .

٦ ــ الوعد الأخروي شروطه وموانعه ، تأليف : عيسى بن عبد الله السعدي ، تحدّث عن المعاد ضمن الباب الثَّاني ((أصول تحقيق الوعد)) وهي التوحيد ، والمعاد ، والإيمان .

أمَّا دراستي هذه فقد اهتمّت بإبراز الاستدلال العقلي في إثبات المعاد ، خلافًا للمتكلّمين ، وربط أصل المعاد بالصِّفات كالعلم والقدرة والإرادة والحكمة .

ويتكوّن البحث من : مقدّمة ، وخمسة مباحث ، وخاتمة .

ــ المقدّمة .

ــ المبحث الأَوَّل : خلاصة مقالات النَّاس في المعاد .

ــ المبحث الثَّاني : كمال العلم الإلهي .

ــ المبحث الثّالث : كمال القدرة الإلهيَّة .

ــ المبحث الرَّابع : كمال الإرادة الرّبَّانيَّة .

ــ المبحث الخامس : كمال الحكمة الرّبَّانيَّة .

ــ الخاتمــــة: وفيها : إجمال أهمّ النتائج .



المبحث الأوَّل
خلاصة مقالات النَّاس في المعاد

العلم بحصول المعاد دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس ، وَأَقَرَّتْ به الفِطَرُ السَّوِيَّةُ ، والعقول السَّليمة ، فالإيمان به أصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة الكبار ، و ((العلم بأنّ الرُّسل جاءت بذلك علم ضروريّ ، فإِنَّ كلّ من سمع القرآن والأحاديث المتواترة ، وتفسير الصَّحابة والتَّابعين لذلك ، علم بالاضطرار أنَّ الرَّسولَ ﷺ أخبر بمعاد الأبدان ، وأنّ القدح في ذلك كالقدح في أَنَّهُ جاء بالصَّلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، وحجّ البيت العتيق ، ونحو ذلك)) (١) .

إِلاَّ أنَّ الانحراف عن الحقّ ، وما أجمعت عليه جميع الرُّسل والأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــ طريقة إبليس وأتباعه ، من جميع المخالفين للرُّسل وما جاءوا به من الوحي في تقرير التَّوحيد ، والإيمان ، والنُّبوَّة ، والمعاد .

فالنَّاسُ في أمر المعاد ، وبعث النَّاس من قبورهم ، وعودة الأرواح إلى تلك الأبدان لحصول ما وعد الله به من الجزاء والحساب ، قد اختلفوا إلى أربعة أقوال هي مقالات جميع أهل الأرض من بني آدم وأتباعهم مِمَّنْ يُقِرُّ بالنُّبوَّات ، ومن ينكرها ، وهي على النَّحو التَّالي :

القول الأَوَّل :

إثبات معاد الأبدان والأرواح جميعًا ، وأنّ الرُّوح المفارقة للبدن عند الموت في الدّنيا ، تكون في الحيـــاة البـــرزخيَّة منعَّمة أو معذّبة ، ثمَّ إِنَّ الله

---

(١) شرح الأصفهانيَّة (ص ٢٧٣) ، وانظر : الفتاوى الكبرى (٦ /٦٢٨) لابن تَيْمِيَّة . وإغاثة اللهفان (٢ /٣١٤) ، والصَّواعق المرسلة (٢ /٧٦٣) ٣ /٩٧٣) .

يعيدها عند القيامة الكبرى إلى البدن .

وهذا قول الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمَّة المسلمين ، وعليه دَلَّ الكتاب والسُّنَّة ، ويثبتون لها بعد الموت حركة وبقاءً ، وغير ذلك ممَّا دلّت عليه النّصوص النَّبويَّة والآثار السلفيَّة (١) .

القول الثَّاني :

إثبات معاد الأبدان فقط ، وهذا قول كثير من أهل الكلام من الجهميَّة والقدريَّة ، ومن وافقهم من الأشعريَّة وغيرهم (٢) ، فبنوا ذلك على أَنَّهُ ليس فينا روح تبقى بعد فراق البدن ، بل ظنُّوا أنَّ الرُّوح عرض يقوم بالبدن كالحياة ، أو جزء من أجزاء البدن ، كالنَّفَس الخارج والدَّاخل ، فأنكروا أن تكون الأرواح المفارقة للأبدان منعَّمة أو معذَّبة ، ثمَّ من أثبت من هؤلاء عذاب القبر ، كالأشعريّ وبعض المعتزلة ، قال : إنَّهُ تُخلق حياة في جزء من أجزاء البدن ، فينعَّم أو يعذَّب (٣) .

---

(١) الصّفديّة (٢ /٢٦٧) لابن تَيْمِيَّة ، وانظر : الجواب الصَّحيح (٦ /٧ ــ ٩) ومجموع الفتاوى (٩ /٢٧٢) له ، ومفتاح دار السَّعادة (٢ /٣٥) لابن القيِّم .

(٢) علماء الكلام مضطربون في أمر معاد الأبدان ، فمنهم طائفة أقرّت بمعاد الأبدان ، وأنكروا أمر الرُّوح وعودتها إلى البدن ، وكونها منعَّمة أو معذَّبة ، ومنهم طائفة أقرّت بالعذاب على البدن دون الرُّوح ، ومنهم من يقرّ بمعاد الرُّوح فقط . انظر : مختصر الفتاوى المصريّة (ص ١٨٦) لابن تَيْمِيَّة .

وانظر كتب علماء الكلام : المحصّل (ص ٥٣٧) وما بعدها ، و (ص ٥٥٣) وما بعدها ، والأربعين (٢ /٣٩) وما بعدها ، كلاهما للرَّازي ، والاقتصاد في الاعتقاد (ص ٢٣٣ ــ ٢٣٥) للغزالي ، والمواقف في علم الكلام (ص ٣٧١ ــ ٣٧٤) للإيجي ، وأصول الدِّين (ص ٢٢٨) وما بعدها للبغدادي .

(٣)انظر: الصَّفديَّة (٢ /٢٦٧ ــ ٢٦٨) لابن تَيْمِيَّة ، والجواب الصَّحيح (٦ /١٠) له، والمحصَّل (ص ٥٣٧) وما بعدها ، والتَّفسير الكبير (٣١ /٤) كلاهما للرَّازي .

وهذا قول مبتدع في دين الإسلام ، معارض لنصوص الوحي ، وإجماع أهل العلم والإيمان ، لم يذهب إليه أحد من أصحاب النَّبيِّ ﷺ والتَّابعين لهم بإحسان ، وعامَّة أئمَّة المسلمين .

والنَّاظر في عامَّة كتب المتكلِّمين لا يكاد يجد من أقوال المسلمين في المعاد إِلاَّ هذا القول ، فالرَّازيّ وأمثاله مِمَّن سطّروا هذا القول ونصروه ، لم يكن لهم خبرة ولا دراية بنصوص الوحي ، وأقوال الصَّحابة والتَّابعين ، وأقوال أئمَّة المسلمين في مثل هذه المسائل ، بل خبرتهم ودرايتهم كانت في كتب الفلاسفة والجهميَّة والمعتزلة وأقوالهم ، و هذا سبب ضلال القوم في هذا الباب . والله المستعان (١) .

وقول هؤلاء مبنيّ على مسألة مهمة ، وهي : هل تموت الرُّوح وتصير إلى عدم بعد مفارقتها للبدن ، أم هي باقية في الحياة البرزخيَّة تُنعَّم أو تُعذَّب حتَّى تعود إلى البدن مرّة أخرى عند القيامة ؟

النَّاس في هذه المسألة طرفان ، ووسط :

الأوَّل : من قال بموت الرُّوح كالبدن ، فهي نفس ، وكلّ نفسٍ ذائقة الموت .

الثَّاني: أنَّ الرُّوح لا تموت ، فهي إنَّما خُلقت للبقاء ، وإنما الموت للبدن فقط ، واستدلُّوا بالأحاديث الدَّالَّة على نعيم الأرواح وعذابها بعد مفارقة الأبدان .

الثَّالث ــ وهو الصَّواب ــ : أن يقال : موت النُّفوس هو : مفارقتها لأجسادها ، وخروجها منها .

فإن أُريد بموتها هذا القدر ، فهي ذائقة الموت .

(١) المصدر نفسه (٢ /٢٦٨) لابن تَيْمِيَة .



وإن أُريد أَنَّها تُعْدَمُ وتضمحلُّ وتصير عدمًا محضًا ، فهي لا تموت بهذا الاعتبار ، بل هي باقية في نعيم أو عذاب (١) .

وَفَرَّعَ قوم على هذا مسألة أخرى ، وهي : (هل تعود الرُّوح إلى الميت في قبره بعد دفنه وقت السؤال أم لا تعاد ؟) .

والحقّ والصَّواب : أنَّ الرُّوح تعود إلى البدن عند السُّؤال ، وتعود للميت حياة برزخيَّة ؛ يسمع قرع نعال المشيّعين له ، وَيُسْأَلُ وَيُجِيْبُ ، وهذا قول جميع أهل السُّنَّة والحديث من سائر الطَّوائف .

وأنكر عود الرُّوح إلى الجسد في القبر أبو محمَّد بن حزم الأندلسي ، فقال : ((ولم يأت قطُّ عن رَسُولِ الله ﷺ في خبر يصحّ أنَّ أرواح الموتى تُرَدُّ إلى أجسادهم عند المسألة ، ولو صحّ ذلك عنه ﷺ لقلنا به ، فإنَّ ذلك لا يصحّ ، فلا يَحِلُّ لأحد أن يقوله ...)) (٢) .

قال ابن القيِّم متعقِّبًا ابن حزم : ((وما ذكره أبو محمَّد فيه حقٌّ وباطلٌ ، أمَّا قوله : (من ظنَّ أنَّ الميت يحيا في قبره فخطأ) ، فهذا فيه إجمالٌ ، إن أريد به الحياة المعهودة في الدّنيا الَّتي تقوم فيها الرُّوح بالبدن ، وتُدَبِّرُهُ وَتُصَرِّفُهُ ، ويحتاج معها إلى الطَّعام والشَّراب واللِّباس ، فهذا خطأ كما قال ، والحِسُّ والعقل يُكذِّبه كما يُكذِّبه النَّصّ .

وإن أُريد به حياةً أخرى غير هذه الحياة ، بل تُعاد الرُّوحُ إليه إعادة غير المألوفة في الدّنيا ، ليُسأل ويُمتحن في قبره ، فهذا حقّ ، ونفيه خطأ ،

---

(١) انظر : كتاب الرُّوح (١ /٩٧ ـ ٩٨) لابن القيِّم ، وقارن بشرح العقيدة الطَّحاويّة (ص ٣٩٥) حيث نقل ابن أبي العزّ عن كتاب الرُّوح ، ولم يُحِلْ إليه .

(٢) الفصل في الملل والنِّحل (١ /١١٩) .

وقد دلَّ عليه النَّصّ الصَّحيح الصَّريح)) (١) .

القول الثَّالث :

من أثبت معاد الأرواح ، وسَمَّاهَا : (النَّفس النَّاطقة) ، وأنكر بعث الأجساد ، وهذا مذهب متأخّري الفلاسفة ، وعلَّل ابن سينا إنكاره هذا ؛ لأنَّهُ لا يمكن البرهنة عليه عقلاً بزعمهم (٢) .

---

(١) كتاب الرُّوح (١ /١٢٣) ، وناقش ابن حزم نقاشًا علميًّا منصفًا ، أَقَرَّ له صوابه ، وردّ عليه خطأه ، بعلم وعدل ، في طريقة بديعة ، يحتاج إليها كثير من أهل زماننا في مسائل العلم والخلاف .

ولابن القيِّم كلام نفيس حول تعلّقات الرُّوح بالبدن ، وهي :

١ ــ تعلُّقها به في بطن الأمِّ جنينًا .

٢ ــ تعلُّقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

٣ ــ تعلُّقها به في حال النَّوم ، فلها به تعلّق من وجه ، ومفارقة من وجه .

٤ ــ تعلُّقها به في البرزخ .

٥ ــ تعلُّقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكملها . كتاب الرُّوح (١ /١٢٤ ــ ١٢٥) . وانظر وقارن : شرح العقيدة الطّحاوية (ص ٣٩٩) لابن أبي العزّ .

(٢) انظر : الأضحوية (ص ٩٣) وما بعدها لابن سينا ، ومقدّمة الأضحوية (ص ١٦) لحسن عاصي ، والصَّفديَّة (٢ /٢٦٨) ، وشرح الأصفهانيَّة (ص ٢٧٢) ومختصر الفتاوى المصريّة (ص ٦٤٨) كلّها لابن تَيْمِيَّة ، والمحصّل (ص ٥٤٩) ، والأربعين (٢ /٦٤) وما بعدها للرَّازيّ .

أمَّا قدماء الفلاسفة فيعبدون الله وحده لا يُشركون به شيئًا ، ويؤمنون بأنّ الله مُحدث هذا العالم ، ويُثبتون معاد الأبدان ، كما يوجد في كلام سقراط وغيره من المتقدّمين ؛ فهم من الصابئة الحنفاء الَّذين أثنى الله عليهم ، وكان أوّل من غيّر دين هؤلاء أرسطو . انظر : مجموع الفتاوى (١٧ /٣٥١) ، والردّ على المنطقيين (ص ٢٨٩) لابن تَيْمِيَّة .

ومحصِّل مذهب الفلاسفة أَنَّهم جعلوا للمعاد صورتين :

الأولى : جسمانيَّة ، وهي الأدنى في نظرهم ، وهي الَّتي نطقت بها الشَّريعة ، وثبتت بالنَّصّ المتلقّى عن النُّبوَّة .

والثَّانية : روحانيَّة ، وهي الأكمل ، وقد ثبتت بالعقل والقياس البرهاني (١) .

فقالوا بالصُّورة الثَّانية ، وأنكروا الأولى ، وبنوا مذهبهم على شُبه فاسدة باطلة .

منها : زعمهم أنَّ النّفوس النَّاطقة (الأرواح) غير متناهية .

ومنها : القول بعالم المجدّدات ، أو الرّوحانيَّات ، أو العقول .

ومنها : اعتبار اللذّة العقليَّة هي الجالبة للسَّعادة الكبرى .

ومنها : اعتبار البدن مانعًا من الشُّعور باللذَّات والآلام العقليَّة (٢) .

وَنَقْضُ هذا المسلك الَّذي سلكه الفلاسفة في أمر المعاد يكون بطريقين :

الأَوَّل : طريق الوجود والعيان .

الثَّاني : طريق الاعتبار والبرهان (القياس) (٣) .

القول الرَّابع :

إنكار المعاد مطلقًا ــ معاد الأبدان والأرواح ــ كما هو قول المكذِّبين

---

(١) موقف ابن تَيْمِيَّة من آراء الفلاسفة (ص ٤٥٥ ــ ٤٥٦) د. صالح الغامدي .

(٢) انظر : الوعد الأخروي (١ /٢٨٢ ــ ٢٨٨) لشيخنا د. عيسى السَّعديّ ، وموقف ابن تَيْمِيَّة من الفلاسفة (ص ٤٥٦) للغامدي .

(٣) انظر : درء التَّعارض (١ /٣٠ ــ ٣١) ، ومجموع الفتاوى (٥ /٤٢٥) و (١٦ /٢٧٧) لابن تَيْمِيَّة ، ومفتاح دار السَّعادة (٢ /٩٤٤) لابن القيِّم . وتفصيل القول في هذين الطَّريقين سيأتي لاحقًا في ثنايا البحث .

بالجزاء بعد الموت ، كمشركي العرب (١) وغيرهم من الأمم (٢) .

وقد عالج القرآن الكريم هذه الظَّاهرة عند العرب بطريقين :

أحدهما : ظاهر في السُّور المكيَّة ، ((فقد جاء حديث مستفيض عن اليوم الآخر عن البعث والمساءلة والثَّواب والعقاب ، ووصف الجنَّة ووصف النَّار ، ومعظم مشاهد القيامة هي في الحقيقة في السُّور المكيَّة ... ؛ لأنّ عقيدة البعث والجزاء كانت ما تزال تنشأ إنشاءً في قلوب العرب المنكرين لها من قبل أشدّ الإنكار)) (٣) .

الثَّانية : ربط الحديث عن المعاد والجزاء والحساب بالإيمان بالله تعالى ، وهذا الأسلوب بارز في السُّور المدنيَّة ، فالإيمان بالبعث مُتَمِّمٌ للإيمان بالله تبارك وتعالى ، وهذا يدلُّ على أنَّ ((الحديث المستفيض عن اليوم الآخر في السُّور المكيّة لم يكن كلّه بسبب إنكار المنكرين للبعث ، ولا كان كلّه موجّهًا إلى أولئك المنكرين ، إنَّما كان جزء منه على الأقلّ موجّهًا للذين آمنوا بالفعل بالله واليوم الآخر .. ثمَّ هو دليل كذلك على أنَّ الَّذين آمنوا بالفعل ليسوا في غنى عن التَّذكير باليوم الآخر ، إنَّما هم في حاجة دائمة إلى

---

(١) العرب في جاهليّتهم أصناف :

١ ــ منكرو الخالق ، والبعث والإعادة .

٢ ــ وصنف أقرُّوا بالخالق ، وأنكروا البعث والإعادة .

٣ ــ وصنف أقرُّوا بالخالق والبعث ، وأنكروا الرُّسل . انظر: الملل والنّحل (٢ /٥٨٢ـ ٥٨٣) للشهرستاني ، والوعد الأخروي (١ /٢٥٥) لشيخنا عيسى السَّعديّ ، و هذه مفاهيمنا (١٠٣) .

(٢)الصَّفديَّة (٢ /٢٦٨) لابن تَيْمِيَّة ، ومختصر الفتاوى المصريّة (ص١٨٦ ، ٢٥٥، ٦٤٢) ، والجواب الصَّحيح (٦ /١١) كلّها لابن تَيْمِيَّة .

(٣)دراسات قرآنيّة (ص ٦٤) هامش (١) لمحمَّد إبراهيم .



ذلك التَّذكير .. والله هو العليم بخلقه ، فلو علم سبحانه أنَّ مجرّد حدوث الإيمان باليوم الآخر يكفي ، لما عاد القرآن لتذكيرهم المرّة بعد المرّة .. إنَّما علم الله أَنَّهُ لا بُدَّ من التَّذكير .. وإعادة التَّذكير ! ولا بُدَّ إذن من سبب دائم يدعو إلى التَّذكير !)) (١) .

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : ٢١] .

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٩٩].

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٧٨ ـــ ٨٢] .

---

(١) المصدر السَّابق (ص ٦٥) .

فهذا المثل المضروب في آخر سورة ياسين (١) اشتمل على أصول براهين المعاد ، في تقرير ربّانيّ بديع ، وتأصيل لإثبات البعث والقيامة ، وفق منهج يجمع بين الأدلّة السمعيَّة ، والأدلّة العقليَّة ، لعلاج الانحراف عن عقيدة الرُّسل الكرام ــ صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا ــ وهذه الأصول على النَّحو التَّالي :

١ ــ كمال العلم الإلهي .

٢ ــ كمال القدرة الإلهيَّة .

٣ ــ كمال المشيئة الربَّانيَّة .

٤ ــ كمال الحكمة الربَّانيَّة .



---

(١) قال السُّبكيّ : ((ولقد هدم الله تعالى بهذه الآية مباحث الفلاسفة في إنكار المعاد الجسماني)) . طبقات الشَّافعيّة الكبرى (٩ / ٨٤) .

المبحث الثاني : كمال العلم الإلهي

العلم الكامل التامّ الَّذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، هو علم الله تبارك وتعالى ، الَّذي وسع كلّ شيء ، وأحاط علمه بجميع خلقه ؛ من كان منهم في عالم الغيب ، أو في عالم الشَّهادة .

فعلم الغيب والشَّهادة يَرِدُ في كتاب الله تعالى مقترنًا بأصول العقيدة الكبرى ، تارة بالتَّوحيد ونفي الشِّرك ، وتارة بالأسماء والصِّفات ، وتارة بالقيامة وأهوالها .

فمن الأَوَّل :

قوله تبارك وتعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرَّعد:٩] .

ومن الثَّاني :

قوله تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السَّجدة : ٦].

وقوله : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢] .

وقوله : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التَّغابن : ١٨] .

ومن الثَّالث :

قوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

وقوله:﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ **[التوبة:٩٤].**

وقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ [الزُّمر : ٤٦] .

وقوله: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨] .

فأخبر سبحانه أنَّ مفاتيح الغيب بيده ــ جلّ وعلاــ ، فقال : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ : ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان : ٣٤])) (١) .

فآية لقمان هذه اشتملت على حقائق كبرى ؛ تثبت بجلاء كمال علم الربّ ــ جلَّ وعلا ــ بوقت السَّاعة ، وبعث الخلائق ، وهي :

الحقيقة الأولى :

الاستدلال على القيامة الكبرى بإنزال الغيث الَّذي يكشف عن بديع صنع الله في هذه الأرض ، واهتزازها وإخراج النَّبات والثَّمرات ، واستوائه على سوقه ، ثمَّ يَصْفَرُّ فيصير هشيمًا تذروه الرِّياح ، فيعود ترابًا ، فكذلك الخلق .

---

(١) كتاب التَّفسير، باب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾، برقم (٤٦٢٧) (فتح ٨ /١٤١) .

الحقيقة الثَّانية :

الاستدلال على المعاد بعلم الأجنّة ، وحال الجنين وهو في التربة الثَّانية ، تربة الرَّحِم عندما كان نطفة ثمَّ علقة ثمَّ مضغة ، ثمَّ تكوين العظام يكسوها اللَّحم ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾ من ذكر أو أنثى ، حيّ أو ميت ، وصيغة المضارع ﴿ وَيَعْلَمُ ﴾ تدلُّ على الاستمرار ما دامت الحياة الدّنيا .

وخلْقُ الإنسان من ضعف ثمَّ قوّة ، ثمَّ ضعف وشيبة ، ثمَّ الموت وتحلّل البدن ، فيصير ترابًا كحاله عندما خلق أوَّل مرّة ، فيه أعظم دلالة على البعث والجزاء والحساب .

الحقيقة الثَّالثة :

حجب الله سبحانه دراية الخلق بعلم الغيب عامّة ، وبما تكسب الأنفس في مستقبل أيَّامها من الأقدار من خير وشرّ ، ونصر وهزيمة ، وغنى وفقر ، وصحّة ومرض ، وجوع وشبع ، وغيرها ، فنفى سبحانه علم ذلك عن العبد ، بل عن الإنس والجنّ ، ما يدلّ على كمال علم الله تبارك وتعالى ، وأنّ السَّاعة آتية لا ريب فيها .

الحقيقة الرَّابعة :

مكان الموت الَّذي قدَّره الله سبحانه للعبد ، وهو ختام الأمر الدّنيويّ ، وابتداء الأمر الأخرويّ ، والدّخول لأحوال البرزخ، في النّزول مع المنتظرين لبقيّة السّفر إلى دار البعث والنُّشور، وأهوال الحشر، وما هنالك من ربح وخسران ، وعزّ وهوان، وما يحصل للرُّوح من الاتّصال للجسد ، والرّتبة في العلــوّ والسّفــول ، والصّعود والنّزول ، إلى آخر ما هنالك من

تفاصيل كليّة وجزئيّة يحيط بها كمال علمه ، وتمام تدبيره (١) .

وعندما أعلم سبحانه الملائكة بأنّه سيجعل في الأرض خليفة ، ذكروا بأنّه لا حاجة إلى ذلك ؛ فهم قائمون بالعبادة الدّائمة ، وفيه سفك للدّماء وإفساد في الأرض ، فأجابهم سبحانه ، وردَّ الأمر إلى علمه ــ جلَّ وعلا ــ فقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وقد ((أظهر سبحانه علمه لعباده ولملائكته ، بما جعله في الأرض من خواصِّ خلقه ورسله وأنبيائه وأوليائه ، ومن يتقرّب إليه ، ويبذل نفسه في محبّته ومرضاته ، مع مجاهدة شهوته وهواه ، فيترك محبوباته تقرّبًا إليَّ ، ويترك شهواته ابتغاء مرضاتي ، ويبذل دمه ونفسه في محبّتي ، وأَخُصُّه بعلم لا تعلمونه ...

وأيضًا فإنِّي أريد أن أُظْهِرَ ما خفي عليكم من شأن عدوِّي ومحاربته لي ، وتكبُّره عن أمري ، وسعيه في خلاف مرضاتي .

وهذا وهذا كانا كامنين مستترين في أبي البشر وأبي الجنِّ ، فأنزلهم إلى دارٍ ظَهَرَ فيها ما كان الله سبحانه منفردًا بعلمه لا يعلمه سواه ، وظهرت حكمته وتمَّ أمره ، وبدا للملائكة من علمه ما لم يكونوا يعلمون)) (٢) .

قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

---

(١) انظر : نظم الدّرر في تناسب الآيات والسُّور (٦ /٣٩ ــ ٤٠) للبقاعي ، وشفاء العليل (٦١ ــ ٦٢) لابن القيِّم ، وركائز الإيمان (ص ٣٦ ــ ٤٠) محمَّد إبراهيم .
(٢) مفتاح دار السَّعادة (١ /٨ ــ ٩) لابن القيِّم .



هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [القصص: ٦٨ ــ ٧٠] .

قال ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ : ((أي سبحانه المتفرِّد بالخلق والاختيار مِمَّا خلق ، وهو الاصطفاء والاجتباء ، ولهذا كان الوقف التّام عند قوله : ﴿ وَيَخۡتَارُۗ ﴾ ، ثمَّ نفى عنهم الاختيار الَّذي اقترحوه بإرادتهم ، وأنّ ذلك ليس إليهم ، بل إلى الخلّاق العليم الَّذي هو أعلم بمحالّ الاختيار ومواضعه)) (١) .

قال شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ : ((والاختيار في لغة القرآن يراد به التَّفضيل والانتقاء والاصطفاء)) (٢) .

وعندما شرع الله لرسوله ﷺ وأصحابه الجهاد ، وأذن لهم فيه ، حذَّر الفئة المؤمنة من كراهية ما يكون فيه من الخير والبركة ، ومن محبّة ما في تركه الشرّ والفساد والهلاك ، فقال : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

فكراهية من قد يكره القتال ترجع لأمرين :

---

(١) شفاء العليل (ص ٦٦) ، وانظر : جامع الرَّسائل (١/ ١٣٧) لابن تَيْمِيَّة ، وردّ ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ زعم المتكلّمين في تفسير الاختيار بالإرادة ، ورجّح أنَّ المعنى الصَّحيح للاختيار هو : اختيار الشيء على غيره ، وهو مطابق لمعناه في اللُّغة . انظر: المصدر نفسه (ص ٦٧) .

(٢) جامع الرَّسائل (١/ ١٣٧) . ولنظّار المتكلِّمين دليل مشهور في إثبات علم الله وهو ((إيجاده الأشياء ؛ لاستحالة إيجاده الأشياء مع الجهل)) ، والقرآن قد دلّ على هذه الطَّريق بقوله : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] . انظر : شرح الأصبهانيّة (ص ٣٩٦ ــ ٣٩٧) لابن تَيْمِيَّة .

أحدهما : عدم العلم بمنافعه وحكمته ، وآثاره الدنيويّة والأخرويّة .
الثَّاني: نفور الطَّبع منه ؛ لما فيه من ذهاب الأموال ، وإزهاق النُّفوس (١) .

((فهذه الآية تضمّنت الحضّ على التزام أمر الله وإن شقّ على النُّفوس ، وعلى الرِّضا بقضائه وإن كرهته النُّفوس ... ولمَّا كان العبد يحتاج في فعل ما ينفعه في معاشه ومعاده إلى علم ما فيه من المصلحة ، وقدرته عليه ، وتيسيره له ، وليس له من نفسه شيء من ذلك ، بل عَلِمَهُ ممَّن عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم ، وقدرته منه ، فإن لم يقدره عليه وإلاَّ فهو عاجز)) (٢) .

وقال ابن القيِّم في موضع آخر معلّقًا على هذه الآية : ((فالأمور أربعة : مكروه يوصل إلى مكروه ، ومكروه يوصل إلى محبوب ، ومحبوب يوصل إلى محبوب ، ومحبوب يوصل إلى مكروه .

فالمحبوب الموصل إلى محبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من وجهين ، والمكروه الموصل إلى مكروه قد اجتمع فيه داعي التَّرك من وجهين ، بقي القسمان الآخران يتجاذبهما الدَّاعيان ، وهما معترك الابتلاء والامتحان ، فالنَّفس تؤْثِر أقربهما جوارًا منهما وهو العاجل ، والعقل والإيمان يؤْثِرَان أنفعهما وأبقاهما ، والقلب بين الدّاعيين ، وهو إلى هذا مرّةً ، وإلى هذا مرّة)) (٣) .

---

(١) انظر : شفاء العليل (ص ٧٠) لابن القيِّم ، والموافقات (١ /٤٩٩) للشَّاطبي ، وتفسير البيضاوي (٢ /١٢٥) . قال ابن تَيْمِيَّة : ((ففي الجهاد عاقبة محمودة للنَّاس في الدّنيا يحبّونها وهي : النَّصر والفتح ؛ وفي الآخرة الجنّة ؛ وفيه النَّجاة من النَّار)) ، مجموع الفتاوى (٨ /٣٦) .
(٢) المصدر نفسه (ص٧٠ ــ ٧١) . وانظر : مفتاح دار السَّعادة (٢ /٨٩٤ ــ ٨٩٥).
(٣) الداء والدواء (ص ٤٥٣ ــ ٤٥٤) ، وانظر : الفوائد (ص ١٣٢) و (١٩٨ ــ ٢٠٠) لابن القيِّم .

فمن طريقة القرآن في إثبات المعاد : إبراز كمال العلم الإلهي في كلّ مناسبة يقتضيها المقام ، ومن ذلك : ما جاء في الحديث عن الفتح في صلح الحديبية ، وما اشتمل عليه من إظهار علم الله تبارك وتعالى للعصبة المؤمنة ، فقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] .

فبسبب صلح الحديبية ((حصل من مصالح الدِّين والدُّنيا ، والنَّصر ، وظهور الإسلام ، وبطلان الكفر ، ما لم يكونوا يرجونه من قبل ذلك ، ودخل النَّاس بعضهم في بعض ، وتكلَّم المسلمون بكلمة الإسلام ، وبراهينه وأدلّته جهرة لا يخافون ، ودخل في ذلك الوقت في الإسلام قريب مِمَّنْ دخل فيه إلى ذلك الوقت .

وظهر لكلّ أحد بغي المشركين وعداوتهم وعنادهم ، وعلم الخاصُ والعَامُ أنَّ محمَّدًا ﷺ وأصحابه أولى بالحقّ والهدى ، وأنّ أعداءهم ليس بأيديهم إلاَّ العدوان والعناد ، فإنَّ البيت الحرام لم يصدّ عنه حاجّ ولا معتمر من زمن إبراهيم عليه السلام ، فتحقّقت العرب عناد قريش وعداوتهم ، وكان ذلك داعية لبشر كثير إلى الإسلام .

وزاد عناد القوم وطغيانهم ، وذلك من أكبر العون على نفوسهم ، وزاد صبر المؤمنين واحتمالهم والتزامهم لحكم الله وطاعة رسوله ﷺ ؛ وذلك من أعظم أسباب نصرهم. إلى غير ذلك من الأمور الَّتي علِمَها الله ولم يعلمها الصَّحابة ؛ ولهذا سمَّاه فتحًا)) (١) .

---

(١) شفاء العليل (ص ٧٢) لابن القيِّم .

فدلّ هذا على كمال علم الربِّ تعالى ، بإظهار الحِكَم والفوائد من ذلك الصُّلح ، وما آل إليه أمر المسلمين من عزّ ونصر وتمكين ، وكان هذا مستترًا عن علم النَّاس آنذاك ، فأظهر الله مالم يكونوا يعلمون ، وكذلك أمر المعاد متعسِّرٌ علم وقته ، وقد حُجِبَ عن الخلائق في عالم الغيب ؛ لينال المؤمنون ثواب إيمانهم بالغيب ، ومنه القيامة الكبرى .

وفي القصص القرآنيّ وعبره ؛ يبرز جليًّا كمال علم العزيز الحكيم سبحانه ولطفه بأنبيائه ورسله ، فهذا يُوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يُبتلى بأنواع المحن والمصائب ، من إخوته تارة ، وفي حال الرقّ تارة ، ومن امرأة العزيز تارة ، فلم يعلم بعواقب تلك الرّزايا ، وثمرات الصَّبر عليها في الدّنيا والآخرة إلاَّ بعد حين ، قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف : ١٠٠] . ولو لم يكن من ثمرات ما حصل ليوسف ﷺ إلاَّ قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] ، فتأمَّل اقتران الهدى والرّحمة في حقّ يُوسف ﷺ وتزكيته بوصف الإيمان (١) .

قال ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ : ((فأخبر أنَّه يلطف لما يريد ، فيأتي به بطرق خفيّة لا يعلمها النَّاس ، واسمه اللّطيف يتضمَّن علمه بالأشياء الدَّقيقة ، وإيصاله الرَّحمة بالطُّرق الخفيَّة ... وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى

(١) انظر : الفوائد (ص ١٩٣) لابن القيِّم .

وعيسى ومحمَّد ــ صلَّى الله تعالى عليهم وسلَّم ــ من الأمور الَّتي هي في الظَّاهر محن وابتلاء ، وهي في الباطن طرق خفيّة أدخلهم بها إلى غاية كمالهم وسعادتهم .

فتأمَّل قصَّة موسى عليه السلام وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للأطفال ، ووحيه إلى أمّه أن تلقيه في اليمّ ، وسوقه بلطف إلى دار عدوّه الَّذي قدّر هلاكه على يديه ، وهو يذبح الأطفال في طلبه ، فرماه في بيته وحجره على فراشه ، ثمَّ قدَّر له سببًا أخرجه من مصر ، وأوصله به إلى موضع لا حكم لفرعوه عليه ، ثمَّ قدّر له سببًا أوصله إلى النِّكاح والغنى بعد العزوبة والعَيْلة ، ثمَّ ساقه إلى بلد عدوّه ، فأقام عليه به حجّته ، ثمَّ أخرجه وقومه في صورة الفارّين منه ، وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون .

وهذا كلّه مِمَّا يبين أَنَّهُ سبحانه يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة ، والحكم العظيمة الَّتي لا تدركها عقول الخلق ، مع ما في ضمنها من الرّحمة التامَّةِ ، والنِّعمةِ السَّابغة ، والتعرّف إلى عباده بأسمائه وصفاته)) (١) .

ولذا اختار يُوسف عليه السلام السِّجن على الفاحشة ، وتضرَّع إلى الله ــ **تبارك وتعالى** ــ وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته ، وربوبيّته ، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٣ــ٣٤] ، فصرف الله عن يُوسف عليه السلام كيد امرأة العزيز ونسوة المدينة ، وذلك بصرف

---

(١) **شفاء العليل** (ص ٧٢ ــ ٧٣) .

((دواعي قلوبهنّ ومكرهنّ بألسنتهنّ وأعمالهنّ ، وتلك أفعال اختياريَّة ، وهو سبحانه الصَّارف لها ، فالصَّرف فعله ، والانصراف أثر فعله وهو فعل النِّسوة)) (١) .

ونظير هذا في قول الخليل عليه السلام : ﴿ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥]

يقول ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ: ((فهاهنا أمران : تجنيب عبادتها ، واجتنابها ، فسأل الخليل ربَّه أن يجنّبه وبنيه عبادتها ؛ ليحصل منهم اجتنابها ، فالاجتناب فعلهم ، والتَّجنيب فعله ، ولا سبيل إلى فعلهم إِلاَّ بعد فعله)) (٢) .

وفي سورة الملك الَّتي يقرِّر الله ــ تبارك وتعالى ــ فيها الموت والحياة ، وأنَّ هذا وفق الحكمة الربانيَّة على ما اقتضاه علمه الأزليّ بما يصير إليه آدم وذريّته ، وإبليس وذريّته ، أخبر في وسط السُّورة بكمال علمه ، فقال : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [المُلْك : ١٣ ــ ١٤] .

---

(١) المصدر نفسه (ص ١٢٧) لابن القيِّم . وانظر : مجموع الفتاوى (١٥ /١١٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩) ، وقال ابن القيِّم ــ وهو يعدِّد الفوائد من قصّة يُوسف عليه السلام ــ : ((وفي هذه القصّة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة لعلّنا إن وفّق الله أن نفردها في مصنّف مستقلّ)) . الجواب الكافي (ص ٤٨٧) .

(٢) المصدر نفسه(ص١٢٧). وانظر: إغاثة اللّهفان (٢/٩٧٧)، وقال: ((ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة، لما أقدم عبّادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوتهم، وما حلّ بهم ، ولا يزيدهم إِلاَّ حُبًّا لها وتعظيمًا ... ففتنة عبادة الأصنام أشدّ من فتنة عشق الصُّور...)) إغاثة اللّهفان (٢ /٩٧٧) .

قال شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ : ((وهذه الآية تدلّ على كونه عالمًا بالجزئيّات من طرق :

أحدها : من جهة كون الخلق يستلزم العلم بالمخلوق .

الثَّاني : من جهة كونه في نفسه لطيفًا خبيرًا ، وذلك يوجب علمه بدقيق الأشياء وخفيّها .

الثَّالث : ثمَّ يقال : اللطيف الخبير ، علمه بنفسه أولى من علمه بغيره ، وعلمه بنفسه مستلزم لعلمه بلوازم ذاته ... فقد تضمّنت هذه الآية هذه الطُّرق الثَّلاثة)) (١) .

وقال ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ: ((... وقد اختلف في إعراب ﴿ مَنۡ خَلَقَ ﴾ هو النَّصب أو الرَّفع ؟

فإن كان مرفوعًا ، فهو استدلال على علمه بذلك لخلقه له ، والتَّقدير : أَنَّهُ يعلم ما تضمّنته الصُّدور ، وكيف لا يعلم الخالق ما خلقه ، وهذا الاستدلال في غاية الظُّهور والصحّة ؛ فإنَّ الخلق يستلزم حياة الخالق وقدرته وعلمه ومشيئته .

وإن كان منصوبًا ، فالمعنى : ألا يعلم مخلوقه ، وذكر لفظ ﴿ مَنۡ ﴾ تغليبًا ؛ ليتناول العلم العاقل وصفاته على التّقديرين ، فالآية دالّة على ما في الصُّدور كما هي دالّة على علمه سبحانه به)) (٢) .

---

(١) درء التَّعارض (١٠/ ١١٧) . وانظر : مجموع الفتاوى (٢ /٢١١) لابن تَيْمِيَّة، والصَّواعق المرسلة (٢ /٤٩١ ــ ٤٩٢) و (٤ /١٣٨٣ ــ ١٣٨٤) لابن القيِّم ، ومعالم أصول الدِّين (ص ٥٧) للرَّازي .

(٢) شفاء العليل (ص ١٢٠ ــ ١٢١) . وانظر : الصواعق المرسلة (٤ /١٣٨٣ ــ ١٣٨٤) لابن القيِّم .

وقال تعالى في الآية الَّتي تلي هذه مباشرة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [المُلْك: ١٥] ، أي سهلة منقادة للوطء عليها ، والتّنقّل ما بين سهولها ومناكبها المرتفعة ، فيشقّ النَّاس فيها العيون والآبار والطُّرق ، ويتّخذون في بعض أماكنها البيوت ، ويُخْرِجُ الله لهم من باطنها أرزاقهم ، وأرزاق دوابّهم ، وتُواري في باطنها أقذارهم ، وأجسادهم بعد مماتهم ، ثمَّ بعد حين من الزَّمان يأمر الله الأرض فتُخرج من بباطنها من الأموات ، ينتشرون على ظهرها مُلَبِّينَ داعي البعث والجزاء ﴿ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ ، ((فتضمَّنت الآية الدّلالة على ربوبيّته ووحدانيّته وقدرته وحكمته ولطفه ، والتَّذكير بنعمه وإحسانه ، والتَّحذير من الرّكون إلى الدّنيا واتّخاذها وطنًا ومستقرًّا ، بل نُسْرِعُ فيها السَّير إلى داره وجنّته .

فلله ما في ضمن هذه الآية من معرفته وتوحيده ، والتَّذكير بنعمه ... والإعلام بأنّه سبحانه يطوي هذه الدَّار كأن لم تكن ، وأنَّهُ يحيي أهلها بعدما أماتهم وإليه النُّشور)) (١) .



(١) الفوائد (ص ٢٥) لابن القيِّم .

المبحث الثالث : كمال القدرة الإلهيَّة

انعقد اتّفاق المسلمين وعامّة أهل الملل ، وسائر أهل الأرض من أتباع الرُّسل على أنَّ الله ــ تبارك وتعالى ــ على كلّ شيء قدير (١) ، وقد أفصح القرآن عن هذه الحقيقة الكبرى الَّتي تدعو إليها الفطر السَّويَّة ، والعقول السَّليمة (٢) .

فمن تلك الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٤٨] .

وقوله: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[البقرة: ٢٥٩] .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى(٨ /٧) لابن تَيْمِيَّة ، وإرشاد الثِّقات (ص ١٩) للشَّوكاني.

(٢) ورد اسم الله (القادر) في سبع مواضع ، في سور الأنعام ، والإسراء ، وياسين ، والأحقاف ، والقيامة ، والطَّارق ، ولفظ (قدير) ورد في تسع وثلاثين موضعًا ، في ثلاث وعشرين سورة ، ولفظ (قديرًا) ورد ستّ مرَّات ، في سورة : النِّساء ، والفرقان، والأحزاب ، وفاطر ، ولفظ (تقديرُ) مقترنًا بالعزيز العليم ، ورد ثلاث مرّات، في سورة : الأنعام ، وياسين ، وفُصِّلت ، إلى غير ذلك من الاشتقاقات والصِّيَغ . انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٥٣٦ ــ ٥٣٨) لمحمَّد فؤاد عبد الباقي.

وقوله:﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾[آل عمران :١٨٩].

وقوله : ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ [النَّحل : ٧٧] .

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ [الحجّ :٦].

وقوله: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

وقوله : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴾ [فُصِّلت : ٣٩] .

واسم العزيز وصفة العزّة تتضمّن كمال القدرة ، وتمام العلم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٩٥ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٥ ــ ٩٦][١] .

وتَقَدُّم اسم العزيز في القرآن الكريم على اسم الحكيم (٢) لبيان كمال القدرة الإلهيَّة الَّتي هي من تمام العزّة ، وقد ذكر العلاّمة ابن القيِّم ثلاث فوائد لهذا التَّقديم :

(١) انظر ما سطّره العلاّمة ابن القيِّم حول هذه الآيات من سورة الأنعام ، ولا مجال لنقله ، فالمقام مقام اختصار وتركيز . مفتاح دار السَّعادة (٢ /٥٨٥ ــ ٦٦٧) .

(٢) ورد تقديم اسم العزيز على الحكيم في جميع المواضع ، وعددها سبعة وأربعون موضعًا ؛ بالتّتبّع والاستقراء .

الأولى : ((وجه التَّقديم : أنَّ العزّة كمال القدرة ، والحكمة كمال العلم ، وهو سبحانه الموصوف من كلّ صفة كمال بأكملها وأعظمها وغايتها ، فتقدّم وصف القدرة لأنّ متعلّقه أقرب إلى مشاهدة الخلق ، وهو مفعولاته تعالى وآياته .

وأمَّا الحكمة : فمتعلّقها بالنَّظر والفكر والاعتبار غالبًا ، وكانت متأخّرة عن متعلّق القدرة)) (١) .

الثَّانية : ((أنَّ النَّظر في الحكمة بعد النَّظر في المفعول والعلم به ، فينتقل منه إلى النَّظر فيما أودعه من الحكم والمعاني)) (٤٢) .

الثَّالثة : ((أنَّ الحكمة غاية الفعل ، فهي متأخّرة عنه تأخّر الغايات عن وسائلها ، فالقدرة تتعلَّق بإيجاده ، والحكمة تتعلّق بغايته ، فقدّم الوسيلة على الغاية ؛ لأنَّها أسبق في التَّرتيب الخارجي)) (٤٢) .

وآية الكرسيّ فيها من الدّلائل والبراهين السَّاطعة لإثبات الكمالات الربَّانيّة ، والصِّفات الثُّبوتيّة الدّالَّة على كمال القدرة ، وحتَّى الصِّفات السَّلبيَّة الَّتي نفاها الله عن نفسه في الآية تستلزم كمال القدرة أيضًا ، قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] .

فقد تضمَّنت الآية دلائل عظيمة على القدرة والعلم ، والرّبوبيَّة والألوهيَّة ، وهي على النَّحو التَّالي :

---

(١) بدائع الفوائد (١ /٦٤) . وانظر : الجواب الكافي (١ /١١٦) ، والتَّفسير الكبير (٧ /١٨٠) للرَّازي .

١ ــ قوله تعالى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ((فإنَّه يقتضي انفراده بالألوهيّة ، وذلك يتضمَّن انفراده بالرُّبوبيَّة ، وأنّ ما سواه عبدٌ له ، مفتقر إليه ، وأنَّهُ خالق ما سواه ومعبوده ، وذلك صفة إثبات)) .

٢ ــ قوله : ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ ((وهذا يتضمَّن كمال الحياة والقيوميَّة ، فإنَّ السِّنَةَ والنّوم نقص في الحياة والقيّوميّة ، والنّوم أخ الموت ، ومن نام لم يمكنه حفظ الأمور ، فهو سبحانه منزّه عن السِّنَةِ والنَّوم تنزيهًا يستلزم كمال حياته وقيّوميّته ، والحياة والقيّوميَّة من الإثبات)) .

٣ــ قوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾((فإنَّ هذا متضمِّن أَنَّهُ لا يشفع عند أحد إلاَّ بإذنه، وهذا يتضمّن كمال قدرته وخلقه وربوبيّته... فهو الَّذي يأذن للشَّفيع، وهو الَّذي يجعله شفيعًا ، ثمَّ يقبل شفاعته ، فلا شريك له و لا عون بوجه من الوجوه، وذلك يتضمَّن كمال القدرة والخلق ، والرّبوبيّة والغنى والصّمديّة)) .

٤ ــ قوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾ ((فإنَّ هذا يقتضي أَنَّهُ الَّذي يُعَلِّمُ العبادَ ما شاء من علمه ، وأَنَّهُ لا علم لهم إلاَّ ما علَّمهم ، فبيَّن أَنَّهُ المنفرد بالتَّعليم والهداية ، لا يعلم أحد شيئًا إن لم يُعَلِّمْهُ إيَّاه ، كما أَنَّهُ المنفرد بالخلق والإحداث ، فهو الَّذي خلق فسوَّى ، وهو الَّذي قدَّر فهدى)) ، وهذا دليل كمال قدرته وعلمه .

٥ ــ قوله : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾ ((أي لا يكرثه ولا يثقل عليه ، وهذا يقتضي كمال القدرة وتمامها))[(١)] .

(١) الصَّفديَّة(٢/٦٤ ــ ٦٥) ، وشرح الأصبهانيّة (ص٥٣٤ ــ ٥٣٥) لابن تَيْمِيَّة. وانظر: إغاثة اللّهفان(١ /٣٩٦ ــ٤٠٠) ، والصَّواعق المرسلة (١٣٧١/٤ــ ١٣٧٢) كلاهما لابن القيِّم.

وَصَرَّحَ الباري ــ جلّ وعلا ــ بالقهر والفوقيَّة في موضعين من سورة الأنعام ، الَّتي يقرِّر فيها سبحانه التَّوحيد والنُّبوَّة والمعاد ، فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨] ، ((أي وهو الَّذي خضعت له الرِّقاب ، وذلّت له الجبابرة ، وعنت له الوجوه ، وقهر كلّ شيء ، ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه ، وعظمته وعلوّه ، وقدرته على الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه ، وتحت قهره وحكمته)) (١) .

وختمت الآية باسمين من أسمائه ــ **جلّ وعلا** ــ ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ((فيما أمر به ونهى ، وأثاب وعاقب ، وفيما خلق وقدّر ، ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ المُطَّلع على السَّرائر والضَّمائر وخفايا الأمور ، وهذا كلّه من أدلّة التَّوحيد)) [٢] .

والموضع الثَّاني من السُّورة ذَكَرَهُ بعد ذِكْرِ الموتة الصُّغرى ، والبعث في أجل مُسمًّى ، والرُّجوع إلى الله للحساب والجزاء ، فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام : ٦١ ــ ٦٢] ، وهذا من كمال قهره وفوقيّته ، وقدرته التامَّة ، بإرسال الملائكة الحفظة حال حياته في الدّنيا ، وعند انقضاء أجله تتخلّى عنه الحفظة ، ويتولّى ملك الموت وأعوانه أمر الموت ، وتسلّم الرُّوح عندما تخرج من الجسد ، وهم في كمال القوّة والحفظ والقدرة ﴿ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ ثمَّ يُرَدُّ الجميع إلى الله ؛ الملائكة ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢ /٢٠٣) لابن كثير ، وانظر : تفسير القرآن العزيز (٢ /٦١) لابن أبي زمنين ، وتفسير الخازن (٢ /١٠٣) .

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنّان (٢ /١٧٨) للسَّعدي .

والإنس ، والجنّ ، وسائر الخلائق ؛ ليتمَّ الفصل والحكم بين الخلق ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [(١)].

وقد سلك القرآن الكريم في إثبات المعاد ؛ القياس على خلق السَّموات والأرض ، فالَّذي أبدع السَّموات والأرض على غير مثال سابق ، قادر على إعادة الأبدان والأرواح يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم : ١٩ ــ ٢٠] ؛ ((يقول تعالى مخبرًا عن قدرته على معاد الأبدان يوم القيامة بأنّه خلق السَّموات والأرض الَّتي هي أكبر من خلق النَّاس ، أفليس الَّذي قدر على خلق هذه السَّموات في ارتفاعها واتّساعها وعظمتها ، وما فيها من الكواكب الثَّوابت والسيَّارات ، والحركات المختلفات ، والآيات الباهرات ، وهذه الأرض بما فيها من مهاد ووهاد وأوتاد ، وبراري وصحاري ، وقفار وبحار ، وأشجار ونبات ، وحيوان على اختلاف أصنافها ومنافعها وأشكالها وألوانها)) [(٢)].

---

(١) انظر : روح المعاني (٧/ ٢٢٧ ــ ٢٣٢) للآلوسي ، وإغاثة اللهفان (٢/ ٨٤٨ ــ ٨٥٠) لابن القيِّم .

وفي الآيتين إثبات صفة العلوّ لله تعالى ، وهو مذهب السّلف ، وأدلّته تزيد على ألف دليل كما قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ١٢١ ، ٢٢٦)، والجواب الصَّحيح (٤/ ٣١٨) ، والصَّواعق المرسلة (١/ ٢٥٩) . وقد صرف اللَّفظ عن ظاهره الرَّازي وكثير من أهل الكلام ، إلى أنَّ المقصود بالفوقيَّة القدرة ! انظر: التَّفسير الكبير (١٢/ ١٤٥) للرَّازي ، والاقتصاد في الاعتقاد (ص٧٤) وما بعدها للغزالي .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٨١٧) لابن كثير ، وانظر : الصّفديّة (١/ ٩١) ، ومجموع الفتاوى (٣/ ٣٦) ، ومنهاج السُّنَّة (٢/ ١٨٣ ، ٣١٩) لابن تَيْمِيَّة .

ونظائر هذا البرهان في الكتاب العزيز ورد في مواضع منها : قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٩٩] ، وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] .

فكمال قدرة الباري على خلق السَّموات والأرض ، وهي الأعظم ، دليل قاطع على قدرته التَّامَّة على البعث للجزاء والحساب ، وهو أهون [(١)] .

وَمِنْ طُرُق الاستدلال على المعاد : الإخبار بالتفرّد بملك السَّموات والأرض ، وما فيها ، وعلمه سبحانه بسرائر النُّفوس ، قال تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ، ((فتضمَّنَ ذلك أَنَّهُ لا يخرج شيء عن قدرته أَلْبَتَّة ، وأنّ كلّ مقدور واقع بقدرة ، ... فتضمّنت الآية إثبات التَّوحيد ، وإثبات العلم بالجزئيَّات والكليَّات ، وإثبات الشَّرائع والنُّبوَّات ، وإثبات المعاد والثَّواب والعقاب ، وقيام الربِّ على خلقه بالعدل والفضل ، وإثبات القدرة وعمومها ... ثمَّ إنَّ إثبات كمال علمه وقدرته يستلزم إثبات سائر صفاته العلى ، ... وكمال

(١) انظر : الصَّفديَّة (١/ ٩١ ، ٩٥) ، ومجموع الفتاوى (٣/ ٣٦) ، ودقائق التَّفسير (٢/ ٣٦٤) ، ودرء التَّعارض (٦/ ١٧٧) و (٧/ ٨٧) ، والجواب الصَّحيح (٣/ ٢١١) كلّها لابن تَيمِيَّة ، والصَّواعق المرسلة (٣/ ١٠٢١) لابن القيِّم.

القدرة يستلزم أن يكون فعّالاً لما يريد))[1] .

ومن دلائل قدرة الله تعالى على معاد الأبدان والأرواح : إيجاد الكواكب السيَّارة ، والنّجوم اللامعة ؛ لمنافع الخلق على ظهر الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٧] ، وقال سبحانه في سورة النَّحل : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النَّحل : ١٦] .

فهذه النُّجوم من الدّلائل الدالَّة على كمال القدرة والرَّحمة والحكمة ، من وجوه :

الأَوَّل: أنَّ فيها هداية للنَّاس إلى الطُّرق والمسالك في أسفارهم ، فلا يضلُّون تلك الطُّرق في ظلمات البرّ والبحر .

الثَّاني: الاستدلال بحركة الشَّمس على أوقات الصَّلَوات الخمس .

الثَّالث : أَنَّها زينة للسَّماء ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [الصَّافَّات : ٦].

الرَّابع: أنَّ من منافعها رجومًا للشَّياطين﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[الملك:٥][2].

ففي خلق النُّجوم حكمة وآية ، بهرت العقول ، وعجز الخلق عن الإحاطة بكلّ ما فيها من الحكم والغايات ((أحسن كلّ شيء خلقه ، وأتقن كلّ ما صنعه ، وأَنَّهُ العليم الحكيم ، الَّذي خلق فسوّى ، وقدّر فهدى ، وأنّ هذه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٢ ــ ١٣٣) لابن تَيْمِيَّة . وانظر : تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٠٥) لابن كثير .

(٢) انظر : التَّفسير الكبير (١٣/ ٨٢) للرَّازي ، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٥٤) لابن كثير ، ومفتاح دار السَّعادة (٢/ ٥٩٨) ، والطُّرق الحكميّة (ص ٨٥) .

إحدى آياته الدّالّة عليه ، وعجائب مصنوعاته الموصلة للأفكار إذا سافرت فيها إليه ، وأنَّهُ خلق مسخّر مربوب مدبَّر ؟!)) [1] .

ولا أدلّ على كمال قدرته ، وربوبيّته وألوهيّته ، وعظمته ، من كلامه المنزل على خاتم رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه ، فقراءته وتدبّره يوصل إلى العلم بكمال القدرة بأيسر طريق وأسهله .

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [الرَّعد : ٢ ــ ٤] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٣ ــ ٦] .

وقال جلّ وعلا : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [لقمان : ١٠ ــ ١١] .

(١) مفتاح دار السّعادة (٢ /٦٠١) لابن القيِّم .

وقال ﷻ : ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٤ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النَّحل:٤ ــ ١٧].

فلا إله إلاَّ الله ، ما أعظم هذا القرآن ، الَّذي فيه الهدى والنُّور ، والرَّحمة والعدل ، يهدي للتي هو أقوم في شأن التَّوحيد وتقريره ، والمعاد وبراهينه ، والإيمان وثوابه ، والكفر وعقابه ، ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فُصِّلت : ٤٢] .



المبحث الرَّابع : كمال الإرادة الرّبَّانيّة

الإرادة صفة كمال لله ــ تبارك وتعالى ــ كصفة العلم ، والقدرة ، ولذا جمع الله سبحانه هذه الصِّفات الثَّلاث في آخر سورة ياسين ، في ذلك المثل المضروب من منكر البعث ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ **[يس: ٧٨ــ ٨٣].**

فكمال العلم ، وكمال القدرة من أعظم الأدلّة على إثبات البعث والجزاء والحساب ، وذلك يستلزم كمال الحكمة في خلق جميع المخلوقات العلويّة والسّفليَّة ، وتقدّم تقرير ذلك .

وهنا في هذا المبحث سيكون الكلام على مسألة الإرادة والمشيئة الرَّبَّانيَّة ودلالتها على البعث، وهي: ((الأمر الَّذي يقع به فعل الفاعل المختار على وجوه مختلفة... وعلى مقادير مختلفة في الكثرة والقلّة ، وسائر الهيئات والأشكال ، من السّرعة والبطء ، وموافقة الغرض ومنافرته ، في أوقات مختلفة في التقدّم والتأخّر ، وهذا هو القدر المُجمع عليه في معناها))[١] .

ولا فرق بين الإرادة والمشيئة [٢] ، فهما شيء واحد ، وبمعنى واحد ، وكلّ النّصوص الواردة في المشيئة ــ وهي إحدى مراتب القدر ــ يدخل فيها

---

(١) إيثار الحقّ على الخلق (ص٢٤٧) لابن المرتضى اليماني . وانظر: الكليّات (ص٧٤ــ٧٥) ، وانتصر لمذهب الأشاعرة في مسألة الإرادة ، والتَّعريفات (ص ١٣) لمحمَّد عابدين .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى(٦ /٢٤٤) (٨ /٣٤٠) ، ومنهاج السُّنَّة (٣ /١٨٢) لابن تيْمِيَّة.

الإرادة ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٩] .

وقال : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٣٩] .

يقول الإمام الآجريّ ــ رحمه الله ــ : ((اعلموا يا معشر المسلمين أنّ مولاكم الكريم يخبركم أَنَّهُ يهدي من يشاء ، فيوصل إلى قلبه محبّة الإيمان ، فيؤمن ويصدِّق ، ويُضلّ من يشاء ، فلا يقدر نبيّ ولا غيره على هدايته بعد أن أضلّه الله عن الإيمان)) (١) .

فتأمَّل كيف عبَّر في سورة الأنعام بالمشيئة ﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] ، وفي السُّورة نفسها أتى بالإرادة ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] في سياق الهداية الربَّانيَّة ؛ ممَّا يدلّ على أَنَّهُ لا فرق بين الإرادة والمشيئة ، فالكلُّ بإذنه وقدرته ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

وعقد الإمام البيهقيّ بابًا في كتابه الأسماء والصِّفات ، فقال : ((جماع

---

(١) كتاب الشَّريعة (٢ /٧١٢) للآجري .

أبواب إثبات صفة المشيئة والإرادة لله ﷻ)) ، ثمَّ قال : ((وكلتاهما عبارتان عن معنى واحد)) (١) ، وساق أبوابًا عدّة في هذا الشأن منها :

١- باب قول الله ﷻ : ﴿ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [الحجّ : ٥] .

٢- باب قول الله ﷻ : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

٣- باب قول الله ﷻ: ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : ١١١] .

٤- باب قول الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [النِّساء : ٢٦] .

٥- باب قول الله ﷻ : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] (٢) .

قال ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ : ((الله سبحانه له الخلق والأمر ، وأمره سبحانه نوعان : أمر كوني قدري ، وأمر ديني شرعي : فمشيئته سبحانه متعلّقة بخلقه وأمره الكوني ، وكذلك تتعلّق بما يحبّ وبما يكره ، كلّه داخل تحت مشيئته ، ... وأمَّا محبّته ورضاه فمتعلّقة بأمره الديني وشرعه الَّذي شرعه على ألسنة رسله ، فما وجد منه تعلّقت به المحبَّة والمشيئة جميعًا ، فهو محبوب للربّ واقع بمشيئته ، كطاعات الملائكة والأنبياء

---

(١) (١ /٣٤٩) .

(٢) كتاب الأسماء والصِّفات (١ /٣٥٠ ــ ٤٥١) للبيهقيّ ، وانظر : شفاء العليل ، فقد ذكر (٦١) آية على صفة المشيئة ، و (٢٠) آية على صفة الإرادة (ص ٩٢ ــ ١٠٤) لابن القيِّم .

وقد سلّط المعتزلة طاغوت التأويل على آيات المشيئة والإرادة ، بما يتنافى مع الأدلّة النَّقليَّة والعقليَّة الصَّحيحة الصَّريحة . انظر : شرح الأصول الخمسة (ص ٤٧٥ ــ ٤٧٦) للقاضي عبد الجبّار .

والمؤمنين ، ومالم يوجد منه تعلّقت به محبّته وأمره الدّينيّ ، ولم تتعلّق به مشيئته .

وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلّقت به مشيئته ولم تتعلّق به محبّته ولا رضاه ، ولا أمره الدّيني ، ومالم يوجد منها لم تتعلّق به مشيئته ولا محبّته .

فلفظ المشيئة كوني ، ولفظ المحبّة ديني شرعي ، ولفظ الإرادة ينقسم إلى :

١- إرادة كونيَّة ، فتكون هي المشيئة .

٢- وإرادة دينيّة ، فتكون هي المحبة)) (١) .

فمن أدلّة الإرادة الدّينيّة :

قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النِّساء : ٢٦ ــ ٢٨] .

وقوله : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : ٦] .

---

(١) شفاء العليل(ص١٠٤ ــ ١٠٥) . وانظر : مجموع الفتاوى (٨ /١٩٨) و (١٠ /٢٤ ــ ٢٥) و (١١ /٢٤٥ ، ٢٦٥ ــ ٢٦٦ ، ٣٥٥ ــ ٣٥٦) ، والاستقامة (٢ /٧٨) ، ومنهاج السنّة النّبويّة (٢ /٣٤ ــ ٣٥) ، والتّسعينيّة (٢ /٦٣٣) لابن تيْميَّة ، وشرح العقيدة السفّارينيّة (ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣) لابن عثيمين ، وشرح العقيدة الواسطيّة (ص ٩٩).

ومن أدلّة الإرادة الكونيَّة :

قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

وقوله : ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقوله : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [هود : ٣٤] (١) .

وقد انحرف في مسألة إرادة الله ــ تبارك وتعالى ــ طوائف من أهل الكلام ، فأنكروا الفرق بين محبّة الله ورضاه ، وبين مشيئته وإرادته الكونيّة ، واعتقدوا التَّسوية بينهما (٢) ، أو التَّلازم بين الإرادة والرّضى والمحبّة ، فكون الله أراد الكفر والمعاصي وكلّ ما خالف أمره وشرعه ، لا بُدَّ أن يحبّه ويرضاه ، وهذا ناتج عن ما توهّموه من وجوه التَّعارض بين الشَّرع والقدر (٣) .

قال شيخ الإسلام : ((ومن نفى التَّمييز في هذا المقام مطلقًا ، وعظَّم هذا المقام ؛ فقط غلط في الحقيقة الكونيّة والدّينيَّة قدرًا وشرعًا ، غلط في

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٨ /٤٤٠ ــ ٤٤١) ، والتّسعينيّة (٢ /٦٣٣ ــ ٦٣٤) لابن تَيْمِيَّة .

(٢) انظر : الإنصاف (ص ٦٩ ــ ٧٠) للباقلّاني ، والاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٣٥ ــ ١٣٦) للغزالي .

(٣) وقد أفرد شيخ الإسلام رسالة مستقلّة عرفت بـــ ((التّدمريّة تحقيق الإثبات للأسماء والصِّفات ، وحقيقة الجمع بين الشَّرع والقدر)) .

خلق الله وفي أمره ، حيث ظنّ وجود هذا ، ولا وجود له ، وحيث ظنّ أَنَّهُ ممدوح ، ولا مدح في عدم التَّمييز والعقل والمعرفة)) [1] .

وقد ضلّ في المسألة طائفتان :

الأولى : طائفة أقرّت بالقضاء والقدر ، وأنكرت الأمر والنَّهي الشَّرعييّن ، وزعموا شهود الحقيقة الكونيّة ، وحقّقوا توحيد الرّبوبيّة الشَّامل للخليقة ، فلم تفرّق هذه الطَّائفة بين المؤمنين والمتّقين ، والمشركين والموحّدين ، والأبرار والفجّار ، ولا بين ما يحبّه الله ويرضاه ، وما يسخطه ويبغضه ، فلم يميّزوا ((بين توحيد الألوهيَّة وبين توحيد الرّبوبيّة ، فيشهد الجمع (٢) الَّذي يشترك فيه جميع المخلوقات ؛ سعيدها وشقيّها ، مشهد الجمع الَّذي يشترك فيه المؤمن والكافر ، والبَرّ والفاجر ، والنَّبيّ الصَّادق والمتنبئ الكاذب ، وأهل الجنَّة وأهل النَّار ، وأولياء الله وأعداؤه ، والملائكة المقرّبون والمردة الشَّياطين)) (٣) .

---

(١) التَّدمريّة (ص ٢٢٠) . وانظر : دقائق التَّفسير (٢ /٢٩٥ ، ٢٩٦) ، ومجموع الفتاوى (٣ /١١٦ ــ ١١٧) كلاهما لابن تَيْمِيَّة .

(٢) معنى الجمع هنا : الحقيقة الكونيّة الَّتي يجتمع فيها جميع المتفرّقات واستوائها ، فلا فرق بين جميع الشّرور وبين جميع ما جاءت به الرُّسل من الشَّرائع والهدى والخير. انظر : مدارج السَّالكين (١ /١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ٢٤٧) و (٢ /٤٤٨) لابن القيِّم، ومجموع الفتاوى (١٠ /٦٦٨) ، ومجموعة الرَّسائل (١ /٣) ، والصّفديّة (١ /٥)، والردّ على الشّاذلي (ص ١٦٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ /٦٦٨) لابن تَيْمِيَّة . وانظر : المصدر نفسه (١١ /٤٩ ، ٥٣، ٢٦٢ ، ٥٠٨) ، ومنهاج السُّنَّة (٣ /٧٦ ، ٧٨) ، والاستقامة (٢ /٧٨) لابن تَيْمِيَّة .

وهؤلاء هم غلاة المتصوّفة من الاتّحاديّة ونحوهم [1] ، الَّذين يرون كفر الكافرين ، وزندقة الزّنادقة ؛ توحيد وإيمان ، وبعضهم يفضّل فرعون على موسى عليه السلام ، وأنّ فرعون كان صادقًا عندما قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النَّازعات : ٢٤] .

هذا هو شهود الحقيقة الكونيّة ، وتحقيق توحيد الرُّبوبيَّة في معزل تامّ عن توحيد الألوهيَّة ، فهم ــ على أقلّ تقدير ــ كحال عبّاد الأصنام المشركين ، كانوا مقرّين بأنّ الله خالق كلّ شيء وربّه ومليكه ، فمن كان هذا منتهى تحقيقه ، كان غايته أن يكون كالمشركين عبّاد الأصنام والأوثان [2] .

ويدخل في الطَّائفة الأولى : فرقة الجبريّة ؛ الَّذين سلبوا العبد إرادته ومشيئته ، وجعلوه كالرِّيشة في مهبّ الرِّيح ، فالكون كلّه ــ قضاؤه وقدره ، طاعته ومعصيته ، خيره وشرّه محبوبه ، فما كان من أفعال الربّ ــ على مذهب الجبريّة ــ فتكون جميعها محبوبة مرضيّة لله سبحانه ؛ لأنَّهَا صادرة عن مشيئته .

ولو أنَّ القوم امتثلوا للأمر والنَّهي الشَّرعيين ، وفرَّقوا بين ما أراده سبحانه كونًا ، وما أراده شرعًا ، لسلموا من الانحراف والضَّلال ، فمن تأمّل

---

(١) كابن عربي ، وابن سبعين ، والسّهروردي المقتول . انظر : درء التَّعارض (١٠/ ٢٠٤) ، والردّ على المنطقيين (ص ٥٢١ ــ ٥٥٢) لابن تَيْمِيَّة .

(٢) انظر : الردّ على المنطقيين (ص ٥٢١) ، والاستقامة (٢/ ٧٨ ــ ٧٩) ، ومجموع الفتاوى (٨/ ٣٥٣) (١٠/ ٦٦٩ ، ٦٨٥) (١١/ ٤٩) ، الفتاوى الكبرى (٢/ ٣٩٥) لابن تَيْمِيَّة .

والفرق بين الوثن والصَّنم : أنَّ الوثن : ما كان له جثّة من خشب أو حجر ونحوه ، والصَّنم : الصُّورة بلا جثّة . انظر : المجموع (٨/ ٣٥٩) للنَّوويّ ، ولسان العرب (١٢/ ٣٤٩) لابن منظور .

القرآن ؛ وجد الحقائق الشَّرعيَّة الَّتي لا تتعارض مع القضايا الكونيَّة ، فالكلّ من عند الله ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، فقرَّر جلّ وعلا ذلك أحسن تقرير ، ونفى التّلازم في هذا الباب ، فقال : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] ، وقال : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزُّمر : ٧] ، وقال : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء : ٣٨] .

يقول ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ : ((واعتاص عليهم ؛ كيف يكون مكروهًا له ، وقد أراد كونه ؟ ، وكيف لا يحبّه ، وقد أراد وجوده ؟ ، أوَّلُوا هذه الآيات ونحوها بأنّه لا يحبها دينًا . ولا يرضاها شرعًا . ويكرهها كذلك ، بمعنى : أَنَّهُ لا يشرعها ، مع كونه يحبّ وجودها ويريده ، ... ثمَّ بنوا على ذلك أَنَّهم مأمورون بالرضا بالقضاء ، وهذه قضاء من قضائه ، فنحن نرضى بها ، فمالنا ولإنكارها ومعاداة فاعلها ...

فتركّب من اعتقادهم :

ــ كونها محبوبة للربّ .

ــ وكونهم مأمورين بالرِّضا بها .

ــ والتَّسوية بين الأفعال .

ــ وعدم استقباح شيء منها أو إنكاره .

فلزم من ذلك :

ــ رفع الأمر والنَّهي .

ــ طيٌّ بساط الشَّرع .

ــ الاستسلام للقدر ، والذَّهاب حيث كان .

ــ صارت لهم هذه العقائد مشاهد)) [(١)] .

الطَّائفة الثَّانية : أنكرت القضاء والقدر ، وأقرّت بالأمر والنَّهي الشَّرعيّين ، وخلصت إلى أنَّ المعاصي غير محبوبة لله ولا مرضيّة له ، فهي ليست مقدّرة ولا مقضيّة له ، فهي خارج إطار مشيئته وخلقه .

قال شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ عن هؤلاء : ((زعموا أنَّ في المخلوقات ما لا تتعلّق به قدرة الله ومشيئته وخلقه ، كأفعال العباد ، وغلاتهم أنكروا علمه القديم ، وكتابه السَّابق ، وهؤلاء هم أوّل من حدث من القدريّة في هذه الأمّة ، فردّ عليهم الصَّحابة ، وسلف الأمّة ، وتبرؤوا منهم)) (٢) .

وآفة هؤلاء القدريّة أنَّهم ردُّوا ((النّصوص الصَّريحة المحكمة في قدرة الله على خلقه ، وأنَّهُ ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ، بالمتشابه من قوله: ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف:٤٩] ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فُصِّلت:٤٦] ، و ﴿ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الطُّور:١٦، التَّحريم :٧] .

ثمَّ استخرجوا لتلك النّصوص المحكمة وجوهًا أخر أخرجوها به من قسم المحكم وأدخلوها في المتشابه)) [(٣)] .

---

(١) مدارج السَّالكين (١/ ٢٥١ ــ ٢٥٢) . وانظر : مجموع الفتاوى (٨/ ٣٩١) لابن تَيْمِيَّة ، و شرح الأصول الخمسة (ص ٤٦٠ ــ ٤٦١) للقاضي عبد الجبّار .

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٥٩) ، وانظر : المصدر نفسه (٦/ ٢٤٠) ، وجامع المسائل (٦/ ٢٤٠) . وَمِمَّنْ تبرأ منهم الصَّحابيّ الجليل عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ ، وانظر : شفاء العليل (ص ١٠٨) لابن القيِّم .

(٣) إعلام الموقّعين (٤/ ٥٩) لابن القيِّم . وانظر : أصول الدِّين (ص ١٠٢) وما بعدها ، للبغدادي ، والاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٢٨) وما بعدها ، للغزالي ، والأربعين في=

وأمَّا الجبريَّة فوقعوا في نفس الخطأ ، فردُّوا ((النّصوص المحكمة في إثبات كون العبد قادرًا مختارًا فاعلاً بمشيئته ، بمتشابه قوله : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] ، ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [المدثّر : ٥٦] ، وقوله : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٣٩] .

ثمَّ استخرجوا لتلك النُّصوص من الاحتمالات الَّتي يقطع السَّامع أنَّ المتكلّم لم يُرِدها ما صيّروها به متشابهة)) [(١)] .

أمَّا أسعد النَّاس بالدَّليل ، وما تضمّنه من الهدى والشِّفا ، والنُّور والفلاح ، الَّذين جمعوا بين النّصوص ، ونجو من مشابهة أهل الكتاب في الأخذ ببعض الكتاب دون بعض ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ

=أصول الدِّين (ص ٢٠٧ ــ ٢١٧) للرَّازي ، وشرح الأصول الخمسة (ص ٤٥٨ ــ ٤٦١) للقاضي عبد الجبّار.

وترك المحكم واتّباع المتشابه آفة أهل الكتاب وأهل الأهواء . انظر : الجواب الصَّحيح (٣/ ١٢٥) ، وبيان تلبيس الجهميّة (٧ /٤٩٢) ، وإعلام الموقّعين (٢ /٢١٠ ــ ٢١٨) .

(١) إعلام الموقّعين (٤ /٥٩ ــ ٦٠) ، وانظر : الصَّواعق المرسلة (١ /٢٠٣) ، ولذا ذكر ابن القيِّم طريقان لمن أخذ بالمتشابه في ردّ النّصوص الشَّرعيَّة والسُّنن المرضيَّة :

أحدهما : ردّها بالمتشابه من القرآن أو من السُّنن .

الثَّاني : جعلهم المحكم متشابهًا ؛ ليعطِّلوا دلالته . انظر : إعلام الموقّعين (٤ /٥٨) .

يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤] ، فأخذوا بنصوص إثبات مشيئة العبد وإرادته ، ومسؤليّته عن أفعاله ، وآمنوا بالقدر ، وما تضمّنته نصوصه من العلم والكتابة ، والمشيئة والخلق ، وسلموا من مزالق ودهاليز القدريّة والجبريّة .

وهذا طريق أتباع الرُّسل ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــ من الصَّحابة والتَّابعين ، وأئمَّة أهل العلم والإيمان الَّذين ((يردُّون المتشابه إلى المحكم ، ويأخذون من المحكم ما يفسِّر لهم المتشابه ويبيّنه لهم ، فتتّفق دلالته مع دلالة المحكم ، وتوافق النّصوص بعضها بعضًا ، ويصدِّق بعضها بعضًا؛ فإنَّها كلّها من عند الله ...)) (١) .

والمقصود هنا : أنَّ ((انقسام الكون في أعيانه وصفاته وأفعاله ؛ إلى محبوب للربّ مرضيّ له ، ومسخوط مبغوض له ، مكروه له ؛ أمر معلوم بجميع أنواع الأدلّة ، من العقل والنَّقل ، والفطرة والاعتبار . فمن سوَّى بين ذلك كلّه :

ــ فقد خالف فطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها .

ــ وخالف المعقول والمنقول .

ــ وخرج عمَّا جاءت به الرُّسل)) (٢) .

والفرق بين المشيئة والمحبّة مُجْمَعٌ عليه عند علماء المسلمين ((فأمَّا المشيئة والمحبَّة : فقد دَلَّ على الفرق بينهما القرآن والسُّنَّة ، والعقل والفطرة ، وإجماع المسلمين ...

---

(١)المصدر السَّابق (٤ /٥٨) . وانظر : الموافقات (٣ /٨٥) وما بعدها ، للشَّاطبيّ.

(٢) مدارج السَّالكين (١ /٢٥٥) ، وانظر : شفاء العليل (ص ١٠٤ ــ ١٠٥) كلاهما لابن القيّم .

إذ أجمع المسلمون على : أنَّ ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ولم يخالف في ذلك إِلاَّ القدريّة المجوسيّة الَّذين يقولون : يشاء ما لا يكون ، ويكون ما لا يشاء)) (١) .

وممَّن نقل الإجماع ــ أيضًا ــ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ــ رحمه الله ــ وهو يتحدّث عن نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ، وأهل الإثبات للقدر ، لكنّهم انحرفوا في تفسير الإرادة ، ونبّه إلى أنَّ : ((كلا القولين مخالف للكتاب والسُّنَّة ، وإجماع سلف الأمّة وأئمّتها ؛ فإِنَّهم متَّفقون على أنَّ ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأَنَّهُ لا يكون شيء إِلاَّ بمشيئته ، ومجمعون على أَنَّهُ لا يحبّ الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، وأنّ الكفَّار يبيّتون ما لا يرضى من القول ...)) (٢) .

وبهذا يظهر جليًّا أنَّ الله تبارك وتعالى متّصف بالكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو ((السيّد الَّذي كمل في سؤدده ، والشَّريف الَّذي كمل

---

(١) المصدر السَّابق (١ /٢٥٣) ، فالإرادة ، والإذن ، والكتاب ، والحكم ، والقضاء ، والأمر ، والبعث ، والإرسال ، كلّها عند علماء السّلف وأئمَّة أهل السُّنَّة والجماعة على نوعين :

١ ــ ما يتعلّق بالأمور الدِّينيّة الشَّرعيَّة .

٢ ــ ما يتعلّق بالأمور الكونيّة القدريَّة .

انظر : مجموع الفتاوى (٨ /٥٨) ، و (١٠ /٢٤) ، والاستقامة (٢ /٧٨)، والزّهد والورع والعبادة (ص ١١٧) لابن تَيْمِيَّة .

(٢) الرِّسالة الأكمليّة ، ضمن مجموع الفتاوى (٦ /١١٦) ، ويقول ابن تَيْمِيَّة : ((وفي الجملة قول (المثبتة للقدر) يتضمّن أَنَّهُ خالق كلّ شيء ، وربّه ومليكه ، وأَنَّهُ على كلّ شيء قدير ، وأَنَّهُ ما شاء كان ؛ فيقتضي كمال خلقه وقدرته ومشيئته . و (نفاة القدر) يسلبونه هذه الكمالات)) . المصدر نفسه (٦ /١٢٦) .

في شرفه ، والعظيم الَّذي كمل في عظمته ، والحكيم الَّذي كمل في حكمه ، والغنيّ الَّذي كمل في غناه ، والجبّار الَّذي قد كمل في جبروته ، والعالم قد كمل في علمه ، والحكيم الَّذي قد كمل في حكمته ، وهو الشَّريف الَّذي قد كمل في أنواع الشَّرف والسؤدد ، وهو الله ﷻ)) (١) . قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ١ ــ ٤] .

وبعد ، فلا يقبل من عاقل سليم الفطرة ، صحيح العقل أن يشكّ في أمر البعث ، أو يتردّد في قدرة الباري على إعادة الخلق ، وبعث أجسادهم من قبورهم ، وردِّ الأرواح الَّتي كانت متّصلة بها في الدّنيا إليها ، فإنَّ الإعادة أهون على الله تعالى من النشأة الأولى ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم : ٦٦ ــ ٦٧] .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ

---

(١) المصدر السَّابق (٦/ ٧٢) ، وبيان تلبيس الجهميّة (٧/ ٥٣٨) ، ومجموع الفتاوى (٦/ ٧٢) (٨/ ١٤٩ ــ ١٥٠) (١٧/ ١٤٣) ، ومنهاج السُّنَّة (٢/ ١٨٦) . وهذا منهج القرآن العزيز في إثبات صفات الكمال ، لم تُذكر لمجرّد إثبات الكمال لله تعالى ، بل لبيان وتقرير أنَّهُ سبحانه المستحقّ للعبادة دون ما سواه من المعبودات الباطلة . المصدر نفسه (٦/ ٨٣) .

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [الحجّ : ٥] .

وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الرُّوم : ٢٧] .

وقال : ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٦ ــ ٤٠] .

فالقياس منهج قرآنيّ في تثبيت وتقرير المعاد وأصول الاعتقاد [(١)] ، فالله سبحانه قاس ((النشأة الثَّانية على الأولى في الإمكان ، وجعل النشأة الأولى أصلاً والثَّانية فرعًا عليها ؛ وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنَّبات ، وقاس الخلق الجديد الَّذي أنكره أعداؤه على خلق السَّموات والأرض ، وجعله من قياس الأَوْلَى ، كما جعل قياس النشأة الثَّانية

---

(١) أعني : قياس الأَوْلَى ؛ فهو الَّذي يمكن استعماله في تقرير أصول الاعتقاد دون بقيّة الأقيسة . انظر : مجموع الفتاوى (١/ ٤٨) و (٣/ ٢٩٧) و (٩/ ١٤١) ، ودرء التَّعارض (١/ ٢٩) و (٧/ ٣٢٣) ، والردّ على المنطقيين (ص ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٣٥٠) ، وبيان تلبيس الجهميّة (٥/ ١٠٩) ، ومجموع الفتاوى (٩/ ٤٥) لابن تَيْمِيَّة .

وانظر عن أنواع الأقيسة : إعلام الموقّعين (٢/ ٢٥١ ــ ٢٠٧) لابن القيِّم ، ومجموع الفتاوى (٩/ ١٨٨) و (١٢/ ٣٤٥ ، ٣٤٧) ، ودرء التَّعارض (٧/ ٣١٨) ، والردّ على المنطقيين (ص ٦ ، ١١٩ ــ ١٢١ ، ٢٠٣ ، ٣٦٤ ــ ٣٦٥) .

على الأُولى من قياس الأَوْلَى ، وقاس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النَّوم ، وضرب الأمثال ، وصرَّفَها في الأنواع المختلفة)) (١) .

وفي المبحث التَّالي سيكون الحديث عن تقرير المعاد بطريق النَّظر في الحكمة الربَّانيَّة من إيجاد المخلوقات العلويّة والسّفليّة ، وخلق الإنس والجنّ ، وابتلاء آدم عليه السلام ، وإهباطه من الجنَّة إلى الدّنيا ، وإيجاد المتضادّات من الخير والشرّ ، والتَّوحيد والشِّرك ، والإيمان والكفر ، والأبرار والفجّار .

ما كان هذا ليحدث سُدًى أو عبثًا ، بل لحكمة الابتلاء والامتحان ؛ ليظهر بذلك براهين أسمائه وصفاته ودلالتها على البعث والجزاء والحساب .



(١) إعلام الموقّعين (٢ /٢٤٨) . وانظر : جامع المسائل (٥ /١٧٣ ، ١٧٤) ، ومجموع الفتاوى (١٧ /٢٥٦ ، ٢٥٩) ، وزاد المعاد (٣ /٦٨١) لابن القيِّم ، وقال ــ رحمه الله ــ : ((وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً تتضمَّن تشبيه الشيء بنظيره ، والتَّسوية بينهما في الحكم)) . إعلام الموقّعين (٢ /٢٤٨) . وانظر طرفًا من الآيات القرآنيّة من تلك الأمثال : شفاء العليل (ص ٤٠٦ ــ ٤٠٨) لابن القيِّم .

المبحث الخامس: كمال الحكمة الرّبّانيّة

من المعلوم من الدِّين بالضَّرورة ؛ اعتقاد كمال الحكمة والتَّعليل في خلق الله وأمره ونهيه ، وقد قرّر القرآن الكريم هذه الحقيقة ، فقال تعالى ــ في سياق تقرير المعاد ، و بعث النَّاس من قبورهم ، وإتيانهم إليه أذلاء صاغرين ــ : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النَّمل : ٨٨] .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السَّجدة : ٧] .

فالحكمة هاهنا تتضمَّن أمرين :

أحدهما : حكمة تعود إليه ﷻ ، يحبّها ويرضاها .

والثَّاني : حكمة ترجع إلى عباده : هي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذّون بها ؛ وهذا يشمل المأمورات والمخلوقات [١] .

فالحكمة هي : ((نوع مخصوص من علم الله تعالى بالمنافع الخفيّة ، والعقول الحميدة ، والمصالح الرَّاجحة ، وبها تبرز أفعاله تعالى من القدرة إلى الوجود ، ويتبيَّن عجز العقول عن مدارك جميع ماله ﷻ من الحكمة والكرم والجود)) [٢] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٨/ ٣٥ ــ ٣٦) و (١٢/ ١٣٤) و (١٤/ ٣٠٢) لابن تَيْمِيَّة ، وشفاء العليل (ص ٤٤٩ ــ ٤٥٠) ، ومختصر الصَّواعق (ص ٢٣٨) لابن القيِّم .

(٢) إيثار الحقّ (ص ١٩٣) لابن المرتضى .

وقد سمَّى الله ــ تبارك وتعالى ــ نفسه المقدّسة بالأسماء الحسنى كالعزيز والحكيم [(١)] والسّميع والعليم . فكلّ اسم من أسمائه متضمِّن صفةً لله تعالى ، خلافًا لمن ذهب إلى أنَّ أسماء الله أعلام محضة في دلالتها على ذات الله ﷻ [(٢)] .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

ومنها ــ أيضًا ــ قوله سبحانه : ﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الجاثية : ٣٧] .

قال ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ : ((وكذلك اسم الحكيم ؛ من لوازمه : ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله ، ووضعه الأشياء في مواضعها ، وإيقاعها على أحسن الوجوه ، فإنكار ذلك إنكار لهذا الاسم ولوازمه)) [(٣)] .

---

(١) ورد اسم (الحكيم) في تسع وثلاثين موضعًا من سور القرآن العزيز ، في خمس وسبعين آية .

(٢) انظر : مدارج السَّالكين (١ /٢٨) لابن القيِّم ، وجامع الرَّسائل (١ /١٧١) ومنهاج السُّنَّة (٢ /١٦٠) .

(٣) المصدر نفسه (١ /٣١) . وقد نفى الحكمة الإلهيَّة طوائف من المبتدعة أهل الكلام ، ولهم في ذلك أقوال ، منها :

١ ــ قول من نفى الحكمة ، وزعموا أنَّ إثباتها يفضي إلى الحاجة ، وهي نقض ينزّه الله عنه .

٢ ــ قول من يثبت حكمة تعود إلى العباد ، ونفوا الصِّفة المتعلِّقة بذات الله تعالى . انظر : مجموع الفتاوى (٨ /٣٧ ــ ٣٨) ، وإيثار الحقّ على الخلق (ص ٢٠٩ ــ ٢٤٦) لابن المرتضى اليماني .=

ومن الأدلّة في هذا : ما ورد في تعليل خلق السَّموات والأرض ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨ ــ ٣٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ ﴾ [الرُّوم: ٨] .

يقول ابن المرتضى ــ رحمه الله ــ : ((في هذه الآية الكريمة دلالة على أنَّ الفكرة العقليَّة الصَّحيحة تثمر المعرفة بحكمة الله ، والقطع على تنزيه الله من العبث واللعب ، كما أنَّ الأدلّة الشَّرعيَّة جاءت بذلك)) [(١)] .

ومن الأدلّة ــ أيضًا ــ ما ذكره ﷻ من سؤال الملائكة عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريّته ، فقال ــ تبارك وتعالى ــ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ ﴾ فجاء السؤال من الملائكة الكرام ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

قال ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ معلّقًا على الآية : ((ثمَّ أظهر سبحانه علمه لعباده وملائكته ، بما جعله في الأرض من خواصِّ خلقه ورسله وأنبيائه وأوليائه ، ومن يتقرَّبُ إليه ويبذل نفسه في محبّته ومرضاته ، مع

= وقد أطال النَّفس في ردّ شبهات أهل الكلام من المعتزلة والأشعريّة في هذه الأقوال الإمام ابن القيِّم في شفاء العليل تزيد على مائة صفحة ، أورد عامّة شُبه القوم ، ونقض بعضها من أربعين وجهًا . انظر : شفاء العليل (ص ٤٢٢ ــ ٥٣٥) ، وطريق الهجرتين (١ /٢٣٤ ــ ٢٣٧) ، ومجموع الفتاوى (٨ /٣٧ ــ ٣٨) ، وإيثار الحقّ (ص ١٩٤) .

(١) إيثار الحقّ على الخلق (ص ٢٠٥) .



مجاهدة شهوته وهواه ، ... ويبذل دمه ونفسه في محبّتي ، وأَخُصُّه بعلم لا تعلمونه ، يُسبِّح بحمدي آناء اللَّيل وأطراف النَّهار ، ويعبدني مع معارضات الهوى والشَّهوة والنَّفس والعدوّ ؛ إذ تعبدونني أنتم من غير معارض يعارضكم ، ولا شهوة تعتريكم ، ولا عدوّ أسلّطهم عليكم ، بل عبادتكم لي بمنزلة النَّفَس لأحدهم .

وأيضًا فإنِّي أريد أن أُظْهِرَ ما خفي عليكم من شأن عدوِّي ومحاربته لي ، وتكبُّره عن أمري ، وسعيه في خلاف مرضاتي .

وهذا وهذا كانا كامنين مستترين في أبي البشر وأبي الجنِّ ، فأنزلهم إلى دارٍ ظَهَرَ فيها ما كان الله سبحانه منفردًا بعلمه لا يعلمه سواه ، وظهرت حكمته وتمَّ أمره ، وبدا للملائكة من علمه ما لم يكونوا يعلمون)) [1] .

ومن الأدلّة الواضحة الدّلالة على عظيم حكمة الباري ــ جلّ وعلا ــ ما ورد في سورة الكهف ممَّا جرى بين كليم الله موسى والخضر ــ عليهما السَّلام ــ في ذلك اللقاء الَّذي تجشّم فيه موسى عليه السلام عناء السَّفر ومشقّته ، قال سبحانه : ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف: ٦٥] .

وقد أفاض الحافظ ابن حجر **ــ رحمه الله ــ** في شرح هذا الحديث واستخراج فوائده ، وما فيها من الحِكمِ الربَّانيَّة ، من تأديب الله لأنبيائه ، وأدب الأنبياء مع ربِّهم في عدم إضافة ما يُستهجن لفظه ، وإن كان الكلّ بتقديره وخلقه ؛ في قول الخضر عن السَّفينة ﴿ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ وعن

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (١ /٨ ــ ٩) . وانظر : شفاء العليل (ص ٤١٤ ــ ٤١٥) لابن القيِّم ، وإيثار الحقّ على الخلق (ص ٢٠٧) لابن المرتضى .

الجدار ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ ، ممَّا يدلُّ على الحِكم والغايات الَّتي يخفيها سبحانه عن خلقه في حين ، ويظهرها لهم في وقت حاجتهم ووفق علمه المحيط بكلّ شيء ﴿ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٣] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢] (١) .

ومن الأدلّة في هذا الباب ــ أيضًا ــ وقد أرشد الله ــ تبارك وتعالى ــ إلى الغاية من الخلق والأمر ، وأنكر على من زعم أنَّ إيجاد الخلق عبث ولعب دون حكمة وغاية ، فقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة:٣٦] ((أي مهملاً معطّلاً ، لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يثاب ولا يعاقب .

وهذا يدلُّ على أنَّ هذا منافٍ لكمال حكمته ، وأنّ ربوبيّته وعزَّته وحكمته تأبى ذلك ، ولهذا أخرج الكلام مخرج الإنكار على من زعم ذلك ، وهو يدلُّ على أنَّ حُسْنَه مستقرّ في الفطر والعقول ، وقبح تركه سدى معطّلاً مستقرٌّ في الفطر ، فكيف يُنسب إلى الربِّ ما قبحه مستقرّ في فطركم وعقولكم ؟!)) (٢) .

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : ١١٥ ــ ١١٦] .

---

(١) انظر : فتح الباري (٨/ ٢٦٣ ــ ٢٧٦) .
(٢) مفتاح دار السَّعادة (١/ ١٧ ــ ١٨) ، والفوائد (ص ١٨٦ ــ ١٨٧) ، والصّواعق المرسلة (٢/ ٤٨٠) ، وشفاء العليل (ص ٢٦٦) ، ومدارج السّالكين (١/ ٤١٩) ، ومجموع الفتاوى (٨/ ٥٢) و (١١/ ٢٥٨) .

نزَّه الله ــ تبارك وتعالى ــ نفسه المقدّسة عن هذا الظنّ والحسبان الباطل ، المنافي لما تستحقّه أسمائه وصفاته من الكمال والجلال ، وموجب تلك الصِّفات وآثارها في خلقه وأمره (١) .

ومن الأدلّة في إثبات الحكمة الربَّانيَّة : ما جاء في نداء نوح ﵇ لربّه ﷻ عندما أدرك هلاك ابنه وعذاب الكافرين ، وغرق مع من غرق ، فقال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود : ٤٥] ، وقد أمر الله نوح أن يحمل معه من كلّ زوجين ، وأهله ، فظنّ ﵇ أنَّ ابنه الكافر فيمن كُتِبَ له النَّجاة ، فلمَّا تيقَّن من غرق ولده ؛ ثارت في نفسه الشَّفقة والرَّحمة ، وطمع بوعد الله له بنجاة أهله ، فنادى بذلك الدُّعاء ، مفوِّضًا الأمر لحكمة الله البالغة ، حيث قال : ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) انظر : المصدر نفسه (١/ ١٨) ، والفوائد (ص ١٨٦ ــ ١٨٧) ، ومجموع الفتاوى (١٦/ ٢٩٩)

(٢) انظر : تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنّان (٣ /٢٠٠ ــ ٢٠١) للسَّعدي، وإيثار الحقّ على الخلق (ص ٢٠٦) لابن المرتضى .

وهناك من فسَّر ﴿ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أي : مبالغة في الأحكام ، فهو أعلم الحاكمين وأعدلهم.

قال الزَّمخشريّ : ((أي : أعلم الحكّام وأعدلهم ؛ لأنَّهُ لا فضل لحاكم على غيره إلاَّ بالعلم والعدل ... ويجوز أن يكون من الحكمة)) الكشّاف (٢ /٣٨٣ ــ ٣٨٤) . وانظر : الجامع لأحكام القرآن (٥ /٣١ ــ ٣٢) للقرطبي ، وروح المعاني (١٢ /٣٧٠ ــ ٣٧١) ، وردّ هذا التَّفسير ابن المرتضى ، فقال : ((ولا يصحّ أن يكون أحكم هنا مبالغة في الأحكام؛ إذ لا مناسبة لذلك بهذا المقام)) . إيثار الحقّ (ص ٢٠٦).

وفي تخلية الربِّ ﷻ عبده بينه وبين ذنوبه ، وتمكينه منها بما ركّب فيه من الإرادة والمشيئة ، وتهيئة الأسباب له ، ما فيه حكمة بالغة عظيمة لا يدرك حصرها إِلاَّ الله تبارك وتعالى ، وقد جرى قلم ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ بما يزيد على ثلاثين حكمة ، اجتزءُ منها ما يناسب المقام :

١ ــ تعريفه حاجته إلى حفظه وصيانته ، وأَنَّهُ إذا لم يحفظه ويصنه فهو هالك ولا بُدَّ ، والشَّياطين قد مَدَّت أيديها إليه تمزّقه كلّ ممزّق .

٢ ــ أن يقيم معاذير الخلائق ، وتتّسع رحمتُه لهم ، مع إقامة أمر الله فيهم ، فيقيم أمر الله فيهم رحمةً لهم ، لا قسوةً وفظاظةً عليهم .

٣ ــ أن يستخرج منه محبّته وشكره لربّه إذا تاب إليه ورجع إليه ، فإِنَّ الله يحبّه ويوجب له بهذه التَّوبة مزيد محبَّة وشكر ورضا لا يحصل بدون التَّوبة ، وإن كان يحصل بغيرها من الطَّاعات أثر آخر ، لكن هذا الأثر الخاصّ لا يحصل إِلاَّ بالتَّوبة .

٤ ــ أَنَّهُ يوجب له الإمساكَ عن عيوب النَّاس والفكر فيها ، فإِنَّه في شغل بعيبه ونفسه ... فالأوَّل علامة السَّعادة ، والثَّاني علامة الشَّقاوة .

٥ ــ أنَّ الحكمة الإلهيَّة اقتضت تركيب الشَّهوة والغضب في الإنسان ، وفي ذلك حِكَمٌ عظيمة لصانعه تبارك وتعالى .

ولا ريب أَنَّهما داعيان إلى أثريهما وموجبيهما ، فلا بُدَّ من ترتّب أثر داعي الشَّهوة والغضب في الإنسان ، أو بعضها ، ولو لم تخلق فيه هذه الدَّواعي لم يكن إنسانًا ، بل مَلَكًا .

فالذَّنب من موجبات البشريَّة ، كما أنَّ النّسيان من موجباتها ، ... ولا يتمّ الابتلاء والاختبار إلاَّ بذلك [(١)] .

ومن الأدلّة الدَّامغة في باب إثبات الحِكَم الإلهيَّة الظَّاهرة : ما ذكره الله في الكتاب العزيز عن الأشقياء أهل النَّار حين يقولون : ﴿ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] .

((فإنَّها وأمثالها تدلّ على معرفتهم بعقولهم قُبحَ ما هم عليه وبطلانه معًا ، إذ لو عرفوا بطلانه بها دون قبحه لم تقم عليهم الحجّة ، وإنما أُرسلت الرُّسل لقطع عذرهم ، لكي لا يقولوا ما حكى الله عنهم ، وذلك لزيادة الإعذار ؛ لأنَّهُ لا أحد أحبّ إليه العذر من الله تعالى)) [(٢)] .

ومن الأدلّة في إثبات الحكمة : تعليل العذاب بالأعمال باستعمال باء السَّببيّة ، كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [آل عمران : ١٨٢] وذلك في معرض ذكر قبائح اليهود في حق الله ــ تبارك وتعالى ــ ووصفهم له بالفقر ﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [آل عمران : ١٨١] .

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٣٦٢ ــ ٣٧٢) ؛ اختصرتها من واحد وثلاثين وجهًا ، عند حديثه عن (مشهد الحكمة) من مشاهد النَّاس في المعاصي والذّنوب ، وانظر : مدارج السَّالكين (١/ ٤٠٩) ، ومفتاح دار السّعادة (١/ ٢٨٥) .

(٢) إيثار الحقّ على الخلق (ص ٢٠٦) لابن المرتضى ، وانظر : الرِّسالة التَّبوكيّة (٥٠) ، وروضة المحبّين (ص ٢٨٠) ، وطريق الهجرتين (ص ١٣) .

وفي معرض ذكر الإنس والجنّ ، واستكثار الجنّ من عبادة الإنس ، واستمتاع كلّ فريق من الآخر في الدّنيا يقول تعالى ــ معلّلاً فعلهم بباء السَّببيّة ــ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

وفي ذكر أصحاب الجنَّة ، وما آل حالهم إليه فيها من النَّعيم المقيم ، وسلامة الصُّدور من الغلّ والحسد ، والحقد والبغضاء ، وتمام الصَّفاء قال سبحانه : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣] [١] .

قال ابن المرتضى ــ رحمه الله ــ : ((وهو أصرح وأكثر وأشهر من أن يذكر ، بل هو من المعلومات من ضرورة الدِّين ، وكذلك جاء صريح التَّعليل في الأحكام ... وقد ذكرت في العواصم [٢] في هذه أكثر من مائة آية من كتاب الله مِمَّا تقشعِّر الجلود لمخالفة آية واحدة منها ، وإنما اقتصرت على ما هنالك ؛ خوفًا من الإملال)) [٣] .

قال ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ : ((وبالجملة فالقرآن من أوّله إلى آخره صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشرّ والأحكام الدّنيويَّة والأخرويَّة على الأسبـــاب ، بل ترتّب أحكـــام الدّنيا والآخـــرة ومصالحهما ومفاسدهما على

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة : ((فهذه باء السَّببيّة ، أي : بسبب أعمالكم)) مجموع الفتاوى (٨ /٧٠) .

(٢) كتاب لابن المرتضى اليماني ، واسمه (العواصم والقواصم في الذبّ عن سنّة أبي القاسم).

(٣) إيثار الحقّ (ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦) لابن المرتضى ، وانظر : الدَّاء والدواء (ص ٣١ ــ ٣٣) لابن القيِّم ، وجامع الرَّسائل (١ /١٥١) .

الأسباب والأعمال)) [1] .

ومن أدلّة إثبات الحكمة الربّانيَّة ، وكون أفعال الإله سبحانه دائرة بين الحكمة والرَّحمة ، والعدل والمصلحة ، لا يَنِدُّ شيء عن ذلك : ((وهذه الثَّمرة لا سبيل إلى تحصيلها إلاَّ بتدبّر كلامه ، والنَّظر في آثار أفعاله ، وإلى هذين الأصلين ندب عباده في القرآن)) [2] .

فمن الأدلّة القرآنيَّة على الأصل الأوَّل (تدبّر كلامه سبحانه) :

ــ قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النِّساء : ٨٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمَّد : ٢٤] .

ــ وقوله سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨] .

ــ وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] .

ــ وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

وقوله جلّ وعلا : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فُصِّلت: ٣] .

---

(١) الدَّاء والدواء (ص ٣٤) . ونصّ ابن القيِّم على أنَّ ترتّب الجزاء على الأعمال يزيد في القرآن على ألف موضع . انظر : المصدر نفسه (ص ٣١) ، وقال في مفتاح دار السَّعادة : ((ولو كان هذا في القرآن والسُّنَّة في نحو مائة موضع أو مئتين لسقناها، ولكنّه يزيد على ألف موضع بطرق متنوّعة)) . (٢ /٢٢) . وانظر : مجموع الفتاوى (٨/٤٨٥ــ٤٨٦) لابن تَيْمِيَّة.

(٢) مفتاح دار السَّعادة (١/٥٣٢ــ ٥٣٣). وانظر: شفاء العليل (ص ٤٠٨) لابن القيِّم .

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة : ((ومعلوم أنَّ تدبّر آياته وتذكّر أولي الألباب إنَّما يكون مع إمكان فهمه ومعرفة معناه)) [١] .

فقضاء الأوقات ، وقطع الأزمان في تلاوة كلام الله تعالى بتدبّر وتفكّر ((جامع لجميع منازل السائرين ، وأحوال العاملين ، ومقامات العارفين))[٢].

ولذا كان التّفكّر في كلام الله نوعان :

الأَوَّل : تفكّر فيه ؛ ليقع على مراد الربّ تعالى منه ، كالآيات المسموعة .

الثَّاني : تفكّر في معاني ما دعا عباده إلى التفكّر فيه ، كالآيات المشهودة [٣] .

قال ابن القيِّم : ((أمَّا التأمّل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله ، وهو المقصود بإنزاله ، لا مجرّد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر)) [٤] .

ومن الأدلّة القرآنيَّة على الأصل الثَّاني (النَّظر في آثار أفعاله) :

ــ قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١] .

ــ وقوله : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

---

(١) بيان تلبيس الجهميَّة (٨/ ٢٣١) ، وانظر : مجموع الفتاوى (٤ /٧٠) ، وقال : ((وهذا يعمّ الآيات المحكمات والمتشابهات ، وما لا يعقل لا معنى لتدبّره ... ولم يستثن شيئاً منه نهى عن تدبّره)) مجموع الفتاوى (١٣ /٢٧٥) .

(٢) مفتاح دار السَّعادة (١ /٥٣٥) .

(٣) انظر : المصدر نفسه (١ /٥٣٦ ــ ٥٣٧) ، وشفاء العليل (ص ٤٠٨) ، والفوائد (ص ٢٠) لابن القيِّم .

(٤) مدارج السَّالكين (١ /٤٤٩) .

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] .

ـ وقوله : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية : ٣ ـ ٥] .

ـ وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [غافر : ٢١] .

ـ وقوله : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [الرُّوم : ٤٢] .

ـ وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الرُّوم:٢٠ـ ٢٥].

فمن تدبَّر كلام العزيز الحميد ، ونظر في آثار أفعاله ـ جلّ وعلا ـ وآياته في الكون المشهود علويّه وسفليّه ((فمتى نظر بهذه العين إلى الحكمة

والرَّحمة ، والقدرة الَّتي صدر عنها ذلك ؛ دلَّه فكره على أَنَّهُ الإله الحقّ المبين ، الَّذي أقرَّت الفِطرُ بربوبيّته وإلهيّته وحكمته ورحمته)) [١] .

وبعد هذه الجملة الصّالحة من الأدلّة النَّقليَّة في إثبات الحكمة الربَّانيَّة ، لا بُدَّ من ذكر شيء من الأدلّة العقليَّة . وفي هذا الشأن يقول ابن المرتضى اليماني ــ رحمه الله ــ : ((ولا ريب ولا شبهة أنَّ قاعدة الكمال في الأفعال أن يكون صدورها عن الحكمة البالغة في توجّهها إلى المصالح الرَّاجحة والعواقب الحميدة ، فكلَّما ظهر ذلك فيها كانت أدلّ على حكمة فاعلها وعلمه وحسن اختياره ومحامده ، وكلَّما بعدت عن ذلك كان أشبه بالآثار الاتّفاقيَّة وما يتولّد عن العلل الموجبة ، وأشبهت أفعال الصِّبيان في ملاعبهم ، والمجانين في خيالاتهم ، فلا يوجد في أفعال المخلوقين أخسّ ولا أنقص من أفعال الصِّبيان والمجانين ؛ لخلوّها من الحكمة ، مع أنَّها لم تخل من موافقة شهواتهم ، ولم تجرّد عن كلّ داع ، فمن نفى عن أفعال الله كلّ داع وحكمة ، فقد جعلها من هذه الجهة أنقص قدرًا من أفعال الصِّبيان والمجانين في ملاعبهم وجنونهم)) [٢] .

فمن الأدلّة العقليَّة : ثبوت الفرق بين دار الأبرار ودار الفجّار ، من وجوه كثيرة ، شرعًا وقدرًا ، وقد سطّرها ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ في شفاء العليل ، أسوق طرفًا منها ، وبالله التَّوفيق .

١ ــ أنَّ الله سبحانه أخبر بأنّ نعيم الجنَّة ماله من نفاد ، وأنّ عطاء أهلها غير مجذوذ ، وأَنَّهُ غير ممنون ، ولم يجئ ذلك في عذاب أهل النَّار .

٢ ــ أَنَّهُ ثبت أنَّ الله سبحانه يُدخل الجنَّة أقوام بلا عمل أصلاً، بخلاف النَّار.

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (١ /٥٣٤) لابن القيِّم .

(٢) إيثار الحقّ (ص ١٩٥) .

٣ ــ أَنَّهُ سبحانه ينشئ في الجنَّة خلقًا يمتّعهم فيها ، ولا ينشئ في النَّار خلقًا يعذّبهم بها .

٤ ــ أنَّ الجنَّة من مقتضى رحمته ، والنَّار من مقتضى غضبه ، وأنّ الَّذين يدخلون النَّار أضعاف الَّذين يدخلون الجنَّة .

٥ ــ أنَّ الجنَّة دار فضله ، والنَّار دار عدله ، وفضله يغلب عدله .

٦ ــ أنَّ النَّار دار استيفاء حقّه الَّذي له ، والجنّة دار وفاء حقّه الَّذي أحقّه على نفسه [(١)] ، وهو سبحانه يترك حقّه ؛ عفوًا وغفرانًا ، ولا يترك الحقّ الَّذي أحقّه على نفسه ؛ وفاءً منه سبحانه .

٧ ــ أنَّ الجنَّة هي الغاية الَّتي خلقو لها في الآخرة ، وأعمالها هي الغاية الَّتي خلقوا لها في الدّنيا ، بخلاف النَّار ؛ فإنَّه سبحانه لم يخلق خلقه للكفر به والإشراك به ، وإنما خلقهم لعبادته وليرحمهم برحمته الَّتي وسعت كلّ شيء .

٨ ــ أنَّ النَّعيم من موجب أسمائه وصفاته ، والعذاب إنَّما هو من أفعاله ... وما كان من مقتضى أسمائه وصفاته ، فإنّه يدوم بدوامه .

٩ ــ أنَّ العذاب مقصود لغيره لا لنفسه ، وأمَّا الرَّحمة والإحسان والنَّعيم فمقصود لنفسه ، فالإحسان والنَّعيم غاية ، والعذاب والألم وسيلة ، فكيف يقاس أحدهما بالآخر .

---

(١) هو استحقاق إنعام وفضل ، وليس هو استحقاق مقابلة كحال المخلوق مع المخلوق، خلافًا للمعتزلة الَّذين يَدَّعُونَ أَنَّهُ واجب على الله بالقياس على الخلق . فالله لا يوجب عليه أحد من خلقه ، فأهل السُّنَّة يقولون : هو الَّذي أوجب الحقّ على نفسه ، وكتب على نفسه الرّحمة . انظر : جامع المسائل (١/١٥١، ١٥٦) فما بعدها ، ومدارج السّالكين (٢/٣٢٣) ، والآداب الشّرعيَّة (١/١٤٦) ، وتيسير العزيز الحميد (ص٦٥).

١٠ ــ أنَّ رضاه أحبّ إليه من غضبه ، وعفوه أحبّ إليه من عقوبته ، ورحمته أحبّ إليه من عذابه ، وعطاؤه أحبّ إليه من منعه ، وإنما يقع الغضب والعقوبة والمنع بأسباب تناقض موجب تلك الصّفات والأسماء .

وهو سبحانه كما يحبّ أسماءه وصفاته يحبّ آثارها وموجبها ، ... وكذلك كره الكفر والفسوق والعصيان والظُّلم والجهل ، لمضادّة هذه الأوصاف لأوصاف كماله الموافقة لأسمائه وصفاته [١] .

فمن تأمّل هذه الفروق ، وجدها دالّة على المقصود بأيسر طريق وأسهله .

وبعد أن ذكر ابن القيِّم ــ رحمه الله ــ هذه الفروق وغيرها قال : ((فإن فهمت سِرَّ هذه الوجوه ؛ وإلاَّ فجاوزه إلى ما قبله [٢]، ولا تعجل بإنكاره)) [٣] .

ومن الأدلّة العقليَّة في إثبات الحِكَم والغايات لله تعالى : أنَّ الحكمة والغاية المطلوبة :

((إمَّا أن يكون لعدم علم الفاعل بها أو تفاصيلها ، وهذا محال في حقّ من هو بكلّ شيء عليم .

وإمَّا لعجزه عن تحصيلها ، وهذا ممتنع في حقّ من هو على كلّ شيء قدير.

وإما لعدم إرادته ومشيئته والإحسان إلى غيره ، وإيصال النَّفع إليه ، وهذا مستحيل في حقّ أرحم الرَّاحمين ، ومَنْ إِحسانه من لوازم ذاته ، فلا

---

(١) شفاء العليل (ص٥٢٢ــ٥٢٤) بتصرّف يسير . وليس مقصودي هنا تقرير مسألة ((فناء النَّار)) من عدمه ، وإنما المقصود إثبات الحِكَم الربانيّة الدّالّة على كماله المقدّس .

(٢) في الأصل : ((فجاوزه إلى ما قبله ، ولا تعجل)) فلعلّه تصحيف من النَّاسخ ، أو خطأ مطبعيّ .

(٣) المصدر نفسه (ص ٥٢٥) .



يكون إلاَّ محسنًا منعمًا منَّانًا .

وإمَّا لمانع يمنع من إرادتها وقصدها ، وهذا مستحيل في حقّ من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد .

وإمَّا لاستلزامها نقصًا ومنافاتها كمالاً ، وهذا باطل ، بل هو قلب للحقائق ، وعكس للفطر ، ومناقضة لقضايا العقول)) [1] .

ولا شكّ ولا ريب أنَّ تتبّع تفاصيل أدلّة الحِكَم الإلهيّة والغايات الربَّانيّة ، الَّتي أودعها الباري ــ سبحانه ــ نصوص وحيه ، ومشاهد كونه العلوي والسُّفلي ، وما اهتدت إليه عقول بني آدم من أوَّل الدّنيا وإلى اليوم يعسر على العقلاء والعلماء والحكماء ، فهذا الإمام ابن القيِّم وقد أسعفه قلمه وذهنه الوقَّاد بالكثير ممَّا سطَّره في كتبه ، وبخاصّة (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل) ؛ إذ يقول :

((ولو ذهبنا نذكر ما يطّلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا ، ونقص عقولنا ومعارفنا ، وتلاشيها وتلاشي علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السِّراج في عين الشَّمس ، وهذا تقريب ، وإلاَّ فالأمر فوق ذلك)) [2] .

والإجماع منعقد عند علماء الأمّة وأئمّتها في إثبات الحكمة الإلهيّة الَّتي هي من موجب أسمائه وصفاته ((وجمهور الأمّة يثبت حكمته سبحانه والغايات

---

(١) المصدر نفسه (ص ٤١٧) .

(٢) شفاء العليل (ص ٤١٩ ــ ٤٢٠) ، ومن أنفع ما في شفاء العليل : أنَّ ابن القيِّم تتبّع طرق إثبات الحكمة في القرآن الكريم ــ أنواع وليس أفراد ــ فبلغت إثنان وعشرون نوعًا . انظر : (ص ٣٨٥ ــ ٤٢١) .

المحمودة في أفعاله ، فليس مع النُّفاة سمع ولا عقل ولا إجماع[1] ، بل السَّمع والعقل والإجماع والفطرة تشهد ببطلان قولهم ، والله الموفّق للصَّواب))[2] .

إذا تقرَّر هذا نخلص إلى أنَّ إثبات المعاد الرّوحاني والجسماني أمر مستقرّ في الفطر والعقول ، ونطقت به الكتب السَّماويَّة ، ودلّت عليه حكمة الباري في خلق الثَّقلين لغايات دنيويّة وأخرويّة ، ((ولهذا ينبّه ﷻ على هذا كثيرًا ، كما في سورة الشُّعراء ، حيث يذكر في آخر كلّ قصّةٍ من قصص الرُّسل وأممهم : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشُّعراء: ٨ ــ ٩] . فأخبر سبحانه أنَّ ذلك صادر عن عزّته المتضمّنة كمال قدرته ، وحكمته المتضمّنة كمال علمه ، ووضعه الأشياء مواضعها اللائقة بها ، فما وضع نعمته وإنجاءه لرسله ولأتباعهم ، ونقمته وإهلاكه لأعدائهم ، إلاَّ في محلِّها اللائق بها ؛ لكمال عزّته وحكمته .

ولهذا قال سبحانه عقب إخباره عن قضائه بين أهل السَّعادة والشَّقاوة ، ومصير كلّ منهم إلى ديارهم الَّتي لا يليق بهم غيرها ، ولا تقتضي حكمته سواها ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ۚ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الزُّمر:٧٥] [3] .

---

(١) وليس الأمر مقصورًا على من خالف في المسألة ، بل جميع مخالفي الرُّسل وصدر هذه الأمّة من الصَّحابة ومن جاء بعدهم فهم مصادمون للعقل والسّمع والإجماع . انظر: النُّبوّات (٢/ ٦١٤) ، ودرء التَّعارض (٢/ ٢١٩) و (١٠/ ٦٠) ، ومجموع الفتاوى (١/ ١٧٥).

(٢) المصدر نفسه (ص ٤١٨) .

(٣) مفتاح دار السَّعادة (١/ ١٥) لابن القيِّم .

الخاتمة

وفيها إجمال أهمّ النتائج :

١ ــ الإيمان باليوم الآخر أصل مشترك بين جميع الرُّسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٢ ــ اختلاف أهل الأرض في المعاد يرجع إلى أربعة أقوال :

ــ من ينكر معاد الرُّوح والبدن كليًّا .

ــ من يثبت معاد الرُّوح والبدن جميعًا .

ــ من يثبت معاد الأرواح دون الأبدان .

ــ من يثبت معاد الأبدان ، وينحرف في معاد الأرواح ، فيؤول مذهبه إلى إنكار معاد الأرواح .

٣ ــ كمال علم الله ــ تبارك وتعالى ــ من أعظم براهين المعاد الَّذي دعت إليه الأنبياء والرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

٤ ــ كمال صفة الإرادة لله تعالى أحد براهين إثبات المعاد ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

٥ ــ كمال قدرة الباري ــ جلّ وعلا ــ وأَنَّهُ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السَّماء ، دليل وبرهان على إثبات معاد الأرواح والأبدان .

٦ ــ إنَّ كمال حكمة الله ﷻ تأبى أن يخلق الخلق سُدَى ، بلا أمر ونهي ، ولا جزاء وحساب ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ٥٩ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ [الذَّاريات : ٥٦ ــ ٦٠] .

٧ ـ إثبات المعاد أمر مستقرّ في الفطر والعقول ، ونطقت به الكتب الإلهيّة ، ودلّت عليه حكمة العليم الخبير .

٨ ـ المعاد حقيقة واقعة في وقتها الَّذي استأثر الله بعلمه ، وهو مقتضى الإيمان بأسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى ، فله الكمال المطلق الَّذي لا يشاركه فيه غيره ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ .

٩ ـ فساد مسلك علماء الكلام في حصرهم إثبات المعاد ، والاستدلال عليه بالأدلّة السمعيّة ، وهذا ناتج عن تقصيرهم في إعطاء الدلائل السمعيّة حقّها كاملاً ، فهي دلائل يقينيّة ؛ لاشتمالها على براهين عقليّة وحجج لا توجد في عقول ومؤلّفات علماء الكلام .



فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١ ــــ **الآداب الشَّرعيَّة** ، للإمام أبي عبد الله محمَّد بن مفلح المقدسي ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، وعمر القيام ، مؤسّسة الرِّسالة ، بيروت ، ط الثَّانية ، ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٦ م .

٢ ــــ **الأربعين في أصول الدِّين** ، لأبي عبد الله محمَّد بن عمر الرَّازي ، تحقيق / د. أحمد حجازي ، مكتبة الكليّات الأزهريّة ، القاهرة ، ومكتبة دار التَّضامن ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

٣ ــــ **إرشاد الثِّقات إلى اتّفاق الشَّرائع** ، للإمام محمّد بن علي الشوكاني ، تحقيق / جماعة من العلماء ، دار الكتب العلميَّة ، لبنان ، ط الأولى ، ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ م .

٤ ــــ **الأصول والفروع** . لابن حزم الأندلسي . تحقيق / جماعة من العلماء ؛ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م.

٥ ــــ **الأضحوية في المعاد** . لابن سينا . تحقيق/ د. حسن عاصي المؤسسة الجامعيَّة للدِّراسات والنَّشر والتوزيع ، بيروت ، ط الثانية ، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .

٦ ــــ **إغاثة اللهفان من مصائد الشَّيطان** . للإمام أبي عبد اللّه محمَّد ابن أبي بكر ، ابن القيِّم . تحقيق/ محمَّد شمس ومصطفى إيتيم ؛ دار

عالم الفوائد ، مكّة المكرّمة ، ط الثّانية ، ١٤٣٦ .

٧ ــــ **الاقتصاد في الاعتقاد** . لأبي حامد الغزّالي . تحقيق / د. علي بوملحم ؛ دار ومكتبة الهلال ، ط الأولى ، ١٩٩٣م .

٨ ــــ **إيثار الحقّ على الخلق في ردِّ الخلافات إلى المذهب الحقّ من أصول التّوحيد** . لأبي عبد الله محمَّد بن المرتضى اليماني . دار الباز ، مكّة المكرّمة ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣١٨ هـ .

٩ ــــ **بدائع الفوائد** ، للإمام أبي عبد اللّه محمَّد بن أبي بكر ، ابن قيِّم الجوزيَّة ، تحقيق / معروف مصطفى زريق ، ومحمود وهبي سليمان ، وعلي عبد الحميد بلطه جي ، دار الخاني ودار الخير ، ط الأولى ، ١٤١٤ هـ ــ ١٩٩٤ م .

١٠ ــــ **بيان تلبيس الجهميَّة** . أحمد ابن تَيْمِيَّة الحرَّاني الدّمشقيّ . تحقيق ــ مجموعة من المحقّقين ، مجمّع الملك فهد ــ المدينة المنوّرة ــ ط الأولى ١٤٢٦ هـ .

١١ ــــ **التّدمريّة تحقيق الإثبات للإسماء والصِّفات وحقيقة الجمع بين الشَّرع والقدر** ، لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق / د. محمَّد السعوي ، ط الأولى ، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م .

١٢ ــــ **التَّعريفات** ، تأليف محمَّد عابدين ، مطبعة الشَّام ، توزيع مكتبة الغزالي ، ط الأولى ، ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٤ م .

١٣ ــــ **تفسير البيضاوي** ، دار الفكر ، بيروت ، بدون معلومات أخرى .

١٤ ــــ **تفسير القرآن العزيز** . لأبي عبد الله محمَّد بن أبي زمنين . تحقيق/ حسين عكاشة ومحمَّد ؛ النَّاشر / دار الفاروق الحديثة ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٤٢٣هــ ــ ٢٠٠٢ م .

١٥ ــــ **تفسير القرآن العظيم** . لأبي الفداء أسماعيل ابن كثير الدّمشــقيّ. بعناية / حسين إبراهيم زهران ، دار الفكر ، بيروت ، ط الثَّانيـــة ، ١٤٠٨ هــ ــ ١٩٨٨ م .

١٦ ــــ **التَّفسير الكبير** . لفخر الدِّين محمَّد بن عمر الرَّازي ، دار الكتــب العلميَّة ، بيروت ، ط الأولى ، ١٤٢١ هــ ــ ٢٠٠٠ م .

١٧ ــــ **تيسير العزيز الحميد** . للشّيخ سليمان بن عبد الله بن محمَّد التّميمي . المكتب الإسلامي ، ط السَّابعة ، ١٤٠٨ هــ ــ ١٩٨٨ م .

١٨ ــــ **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان** ، للعلاّمة عبدالرحمن ابن ناصر السعديِّ ، مؤسّسة مكّة المكرّمة ، بدون معلومات أخرى .

١٩ ــــ **جامع الرسائل** . لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيمِيَّة . تحقيق/ د. محمــد رشاد سالم ؛ دار العطاء ، الرياض ، ط الأولـــى ، ١٤٢٢هــــ ــ ٢٠٠١م .

٢٠ ــــ **جامع المسائل** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرَّاني الدّمشقي . تحقيق : محمَّد شمس ــ دار عالم الفوائد ــ مكّــة المكرّمــة ــ ط الأولى ١٤٢٢ هــ .

٢١ ــــ **الجامع لأحكام القرآن** ، للإمام أبي عبد الله محمَّد بن أحمد

الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلميـة ، بيـروت ، لبنـان ، ط ١٤١٣هـ.

٢٢ ـــ **الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح** . أحمد ابن تَيْمِيَّة الحرّاني الدّمشقيّ . تحقيق/ مجموعة من المحقّقين ؛ دار العاصمة ــ الرياض ــ ط الثَّانية ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٩ م .

٢٣ ـــ **الداء والدواء** ، للإمام أبي عبد الله محمَّد ابن قيّم الجوزيّة ، تحقيق / محمَّد أجمل الإصلاحي ، وزائد أحمد النشيري ، دار عالم الفوائد ، ط الأولى ، ١٤٢٩ هـ .

٢٤ ـــ **درء تعارض العقل والنّقل** ، لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق/ د. محمَّد رشاد سالم ؛ مطابع جامعة الإمام محمَّد بن سعود ، ط الأولى ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م .

٢٥ ـــ **دراسات قرآنيّة** . محمَّد إبراهيم . دار الشُّروق ، القاهرة ، ط الثَّانية ، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

٢٦ ـــ **دقائق التَّفسير** ، لأبي العبَّاس ابن تَيْمِيَّة ، جمع / د. محمَّد السيد الجليند ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ط الثَّانية ، ١٤٠٤ هـ .

٢٧ ـــ **الردّ على الشّاذليّ** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرَّاني الدّمشقي . تحقيق : علي العمران ــ دار عالم الفوائد ــ مكّة المكرّمة ــ ط الأولى ١٤٢٩ هـ .

٢٨ ـــ **الردّ على المنطقيين** . لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّة . النَّاشر :

إدارة ترجمان السُّنَّة ، لاهور ، ط الرابعة ، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

٢٩ ــ **الرِّسالة التّبوكيّة** . محمَّد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزيّة . تحقيق: د. محمَّد غازي ــ مكتبة المدني ــ جدّة ــ بدون معلومات أخرى .

٣٠ ــ **ركائز الإيمان** ، محمَّد إبراهيم ، دار إشبيلية ، ط الأولى ، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧ م .

٣١ ــ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني** . للعلاّمة أبي الفضل شهاب الدِّين السيّد محمود الآلوسي البغدادي . تحقيق/ محمَّد أحمد الأمد ، وعمر عبد السَّلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التأريخ العربي ، بيروت ، ط الأولى ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م .

٣٢ ــ **روضة المحبّين ونزهة المشتاقين** . محمَّد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزيّة . دار الكتب العلميَّة ــ بيروت ــ ط ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م .

٣٣ ــ الزُّهد والورع والعبادة ، لشيخ الإسلام أحمد بن تَيْمِيَّة ، تحقيق / حماد سلامة ، ومحمَّد عوضة ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ .

٣٤ ــ **شرح الأصبهانيَّة** . لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّة . تحقيق / د. محمَّد السّعوي ؛ دار المنهاج ، ودار جودة ، الرِّياض ، ط الأولى ، ١٤٣٠ هـ .

٣٥ ــــ **شرح الأصول الخمسة** . للقاضي عبد الجبار بن أحمد . تحقيق/ د. عبد الكريم عثمان ؛ مكتبة وهبة ، ط الثَّالثة ، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

٣٦ ــــ **شرح العقيدة الأصفهانية** . لشيخ الإسلام أحمد بن تَيْمِيَّة . تحقيق/ سعيد نصر ؛ مكتبة الرشد ، الرِّياض ، ط الأولى ، ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م .

٣٧ ــــ **شرح العقيدة السّفّأرينيّة** ، للشَّيخ محمَّد بن صالح بن عثيمين ، مدار الوطن ، ط الأولى ، ١٤٢٦ هـ .

٣٨ ــــ **شرح العقيدة الطحاوية** . لابن أبي العز الأذرعي الحنفي . تحقيق/ جماعة من العلماء ، وتخريج : محمَّد ناصر الدين الألباني ؛ المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثامنة ، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤ م .

٣٩ ــــ **شرح العقيدة الواسطيّة** . محمَّد خليل هرَّاس . بعناية : علوي سقّاف ــ دار الهجرة ــ الخُبر ــ ط الثَّالثة ١٤١٥ هـ .

٤٠ ــــ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** . للإمام أبي عبد اللّه محمَّد ابن قيِّم الجوزيَّة . تحرير/ الحسَّاني حسن عبدالله؛ دار التراث ، القاهرة ، بدون معلومات أخرى .

٤١ ــــ **الصواعق المرسلة في الردّ على الجهميّة والمعطّلة** . للإمام أبي عبد اللّه محمَّد ابن قيِّم الجوزيَّة . تحقيق / د. علي الدّخيل اللّه ، دار العاصمة ، الرِّياض ، ط الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

٤٢ ــــ **طبقات الشّافعيّة الكبرى** . لتاج الدِّين عبد الوهاب بن علي ابن عبدالكافي السبكي . تحقيق/ محمود الطّناحي ، و د. عبد الفتّاح الحلو؛ هجر للطِّباعة والنَّشر ، ط الثّانية ، ١٤١٣ هـ .

٤٣ ــــ **الطُّرق الحكميّة** . محمَّد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزيّة . دار البيان ، بدون **معلومات أخرى** .

٤٤ ــــ **طريق الهجرتين وباب السّعادتين** . للإمام أبي عبد اللّه محمَّد ابن قيّم الجوزيّة . تحقيق / محمَّد أحمد الإصلاحي ، وزايد النشيري ، دار عالم الفوائد ، مكّة المكرّمة ، ط الأولى ، ١٤٢٩ هـ . وطبعة الدّار السّلفيّة ، الثّانية ١٣٩٤ هـ .

٤٥ ــــ **الفتاوى الكبرى** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرّاني الدّمشقي . دار الكتب العلميَّة ــ ط الأولى ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م .

٤٦ ــــ **فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري** . للإمام الحافظ أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق/ محب الدين الخطيب ، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي ، وقصي محبّ الدِّين الخطيب ؛ دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨م .

٤٧ ــــ **الفصل في الملل والأهواء والنحل** . لأبي محمَّد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي . تحقيق/ د. محمَّد إبراهيم نصر ، و د. عبد الرَّحمن عميرة ؛ شركة مكتبات العبيكان ، ط الأولى ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

٤٨ ــــ **الفوائد** ، للإمام أبي عبد اللّه محمَّد ابن قيّم الجوزيّة ، تحقيق/ محمَّد عزيز شمس ، دار عــالم الفوائــد ، مكّــة المكرّمــة ، ط الأولــى ١٤٢٩هــ . وطبعــة دار الكتــب العلميَّــة ــ بيــروت ــ الثَّانيــة ١٣٩٣ هــ ــ ١٩٧٣ م .

٤٩ ــــ **كتاب الأسماء والصِّفات** . للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق / د. عبد الله محمَّد الحاشدي ، مكتبة السَّوادي ، جــدّة ، ط الأولى ، ١٤١٣ هــ ــ ١٩٩٣ م .

٥٠ ــــ **كتاب أصول الدِّين** . لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠١هــ ــ ١٩٨١م .

٥١ ــــ **كتاب التَّعريفات** ، لعليّ بن محمَّد الجرجاني ، تحقيــق / إبــراهيم الأبياري ؛ دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط الثَّانية ، ١٤١٣ هــ ــ ١٩٩٢ م .

٥٢ ــــ **كتاب الدين** . لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغــدادي . دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠١هــ ــ ١٩٨١م .

٥٣ ــــ **كتاب الرُّوح** ، للإمام أبي عبد الله محمَّد ابن قيّم الجوزيّة ، تحقيق / محمَّد أحمد الإصلاحي ، وكمال قالمي ، دار عالم الفوائــد ، مكّــة المكرّمة ، ط الثَّانية ، ١٤٣٦ هــ .

٥٤ ــــ **كتاب الشَّريعة** ، للإمام أبي بكر محمَّد بن الحسين الآجُرّي ، تحقيق / د. عبد الله بن عمر الدميجي ؛ دار الوطن ، الرِّياض ، ط الأولى ،

١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٧ م .

٥٥ ــ **كتاب الصّفديّة** ، لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق / د.محمَّد رشاد سالم ؛ مكتبة ابن تَيْمِيَّة ، القاهرة ، ط الثَّانية ،١٤٠٦ هـ.

٥٦ ــ **الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّمخشريّ . بعناية/ محمد عبد السَّلام شاهين ؛ دار عالم الكتب ، بيروت ، ط الثَّالثة ، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٢م .

٥٧ ــ **الكليات ((معجم في المصطلحات والفروق اللغويَّة))** . لأبي البقاء أيوّب بن موسى الحسيني الكفوي . تحقيق/ د. عدنان درويش ، ومحمَّد المصري ؛ مؤسسة الرِّسالة ، ط الأولى ، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م .

٥٨ ــ **لباب التأويل في معاني التنزيل** . لعلاء الدِّين علي بن محمَّد ابن البغدادي ، الشهير بالخازن . ضبطه وصحّحه / عبد السَّلام شاهين؛ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م .

٥٩ ــ **لسان العرب** . لمحمَّد بن مكرم بن منظور المصري . دار صادر ، بيروت ، ط الأولى ، بدون معلومات أخرى .

٦٠ ــ **المجموع** . للإمام النَّووي . دار الفكر ، بيروت ، ط ١٩٩٧م ، بدون معلومات أخرى .

٦١ ــ **مجموع فتاوى** . شيخ الإسلام أحمد بن تَيْمِيَّة . جمع وترتيب/

عبدالرَّحمن بن قاسم ؛ دار عالم الكتب ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٦٢ ـ **مجموعة الرَّسائل** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرّانيّ الدّمشقيّ . تحقيق : محمَّد رشاد سالم ـ لجنة التراث العربي ـ بدون معلومات أخرى .

٦٣ ـ **محصّل أفكار المتقدّمين والمتأخّرين من الحكماء والمتكلّمين** ، لأبي عبد الله محمَّد بن عمر الرَّازي ، تحقيق / د. حسين أتاي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م .

٦٤ ـ **مختصر الصَّواعق المرسلة على الجهميَّة والمعطّلة** . اختصره محمَّد بن عبد الكريم البعلي ؛ ابن الموصلي . تحقيق : سيّد إبراهيم ، دار الحديث ـ القاهرة ـ ط الأولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م .

٦٥ ـ **مختصر الفتاوى المصريّة** . لشيخ الإسلام أحمد ابن تَيْمِيَّة . اختصرها / بدر الدِّين البعلي الحنبلي ، بعناية / عبد المجيد سليم ؛ دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون معلومات أخرى .

٦٦ ـ **مدارج السَّالكين بين إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين** . للإمام أبي عبداللّه محمَّد ابن قيِّم الجوزيَّة . تحقيق / محمَّد حامد الفقي ، مكتبة السُّنَّة المحمّديّة ، ومكتبة ابن تَيْمِيَّة ، القاهرة ، بدون معلومات أخرى .

٦٧ ـ **معالم أصول الدِّين** ، لفخر الدِّين الرَّازي ، تحقيق / طه عبدالرؤوف سعد ؛ دار الكتب العلميَّة ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ ـ

١٩٨٤ م.

٦٨ ــــ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، تصنيف / محمّد فؤاد عبدالباقي ، دار الريّان للتراث ، ودار الحديث ، ١٤٠٧ هـــ ــ ١٩٨٧م.

٦٩ ــــ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** . للإمام ابن قيم الجوزية ت ٧٥١هــ . دار الكتب العليمة ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٣هــ ــ ١٩٩٣م .

٧٠ ــــ **مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** . للإمام أبي عبد اللّه محمَّد بن أبي بكر ، ابن قيِّم الجوزيَّة . تحقيق / عبدالرحمن قائد ، دار عالم الفوائد ، مكّة المكرّمة ، ط الثَّانية ، ١٤٣٦ هــ .

٧١ ــــ **الملل والنحل** . لأبي الفتح محمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني . تحقيق/ عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن فاعور ؛ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ١٤١٠هــ ــ ١٩٩٠م .

٧٢ ــــ **منهاج السُّنَّة النَّبويَّة** . أحمد ابن تَيْمِيَّة الحرَّاني الدّمشقيّ . تحقيق : محمَّد رشاد سالم ؛ جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإِسلاميَّة ــ ط الأولى ــ ١٤٠٦ هــ ــ ١٩٨٦ م .

٧٣ ــــ **الموافقات في أصول الشَّريعة** . للإمام إبراهيم بن موسى اللخمي الشَّاطبيّ . تحقيق : عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون

معلومات أخرى .

٧٤ ـــ **المواقف في علم الكلام** . لعضد الدِّين القاضي عبد الــرَّحمن ابــن أحمد الإيجي . عالم الكتب ، بيروت ، بدون معلومات أخرى .

٧٥ ـــ **موقف شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة من آراء الفلاسفة ومنهجــه فــي عرضها** ، د. صالح الغامدي ، مكتبــة المعــارف ، الرِّيــاض ، ط الأولى ، ١٤٢٤ هــ ــ ٢٠٠٣ م .

٧٦ ـــ **النُّبُوَّات** . أحمد بن عبد الحليم ابن تَيْمِيَّة الحرّانيّ الدّمشقيّ . تحقيق: عبد العزيز الطويان ؛ دار أضواء السلف ــ الرياض ــ ط الأولــى ١٤٢٠ هــ ٢٠٠٠ م .

٧٧ ـــ **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور** . لأبي الحسن إبراهيم ابــن عمر البقاعي . بعناية / عبد الرزَّاق غالب المهــدي ، دار الكتــب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، ١٤١٥هــ ــ ١٩٩٥ م .

٧٨ ـــ **هذه مفاهيمنا** . صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ . إدارة المســاجد والمشاريع الخيريّة ــ الرِّياض ط الثَّانية ١٤٢٢ هــ ــ ٢٠٠١م.

٧٩ ـــ **الوعد الأخروي شروطه وموانعه** . تأليف / د. عيسى ابن عبــدالله السَّعدي . دار عالم الفوائد ، مكَّة المكرَّمة ، ط الأولى ، ١٤٢٢هــ .

*****

SOURCE AND REFERENCES

- The Noble Qur'an.
1- Shariah ethics, by Imam Abi Abdullah Muhammad bin Muflih Al-Maqdisi, investigative by Shuaib Al-Arnaout, and Omar Al-Qiyam, Al-Resalah Foundation, Beirut, 2nd Edition, 1417 AH - 1996 AD.
2- The Forty in the Origins of the Religion, by Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Razi, investigation / d. Ahmed Hegazy, Al-Azhar Colleges Library, Cairo, and Dar Al-Tadamon Library, Cairo, First Edition, 1406 AH.
3- Guiding trustworthy ones to the agreement of the laws, by Imam Muhammad bin Ali Al-Shawkani, investigation / group of scholars, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Lebanon, I, 1404 AH - 1984 AD.
4- Assets and branches. Ibn Hazm al-Andalusi. investigation / group of scholars; Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, First Edition, 1404 AH - 1984 AD.
5- The sacrifice at the time. Ibn Sina. investigation / d. Hassan Assi University Foundation for

Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 2nd Edition, 1407 AH - 1987 AD.

6- Helping the two people from the traps of Satan. For Imam Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr, Ibn Al-Qayyim. Investigation / Muhammad Shams and Mustafa Itim; House of the world of benefits, Mecca, the second ed., 1436.

7- Economy in belief. By Abu Hamid Al-Ghazali. investigation / d. Ali Bu Melhem; Al-Hilal House and Library, First Edition, 1993 AD.

8- Preferring the truth over people in returning differences to the true doctrine is one of the foundations of monotheism. For Abu Abdullah Muhammad bin Al-Murtada Al-Yamani. Dar al-Baz, Mecca, and Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1318 AH.

9- Bada'i Al-Fawa'id, by Imam Abi Abdullah Muhammad bin Abi Bakr, Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, investigated by Marouf Mustafa Zureik, Mahmoud Wahbi Suleiman, and Ali Abdul Hamid Balta Ji, Dar Al-Khani and Dar Al-Khair, First Edition, 1414 AH - 1994 AD.

10- The Jahmiyya dress-up statement. Ahmad Ibn Taymiyyah al-Harrani of Damascus. Investigation - A group of investigators, King

Fahd Complex - Madinah - First Edition, 1426 AH.

11- Tadmuriyyah: Achieving Evidence for Names and Attributes and the Reality of Combining the Law and Destiny, by Sheikh Al-Islam Ahmad Ibn Taymiyyah, investigation / d. Muhammad Al-Sa’wi, First Edition, 1405 AH - 1985 AD.
12- Definitions, written by Muhammad Abdeen, Al-Sham Press, distributed by Al-Ghazali Library, I, 1415 AH - 1994 AD.
13- Tafsir al-Baydawi, Dar al-Fikr, Beirut, without other information.
14- Interpretation of the Holy Qur'an. For Abu Abdullah Muhammad bin Abi Zamanin. Investigation by Hussein Okasha and Muhammad. Publisher, Dar Al-Farouq Al-Haditha, Cairo, First Edition, 1423 A.H. - 2002 A.D.
15- Interpretation of the Great Qur'an. Abu Al-Fida is Ismail Ibn Kathir Al-Dimashqi. Carefully / Hussein Ibrahim Zahran, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd Edition, 1408 AH - 1988 AD.
16- The Great Tafsir. Fakhr al-Din Muhammad ibn Omar al-Razi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, I, 1421 AH - 2000 AD.

17- Tayseer Al-Aziz Al-Hamid. By Sheikh Suleiman bin Abdullah bin Muhammad Al-Tamimi. The Islamic Office, Seventh Edition, 1408 A.H. - 1988 A.D.
18- Taysir al-Karim al-Rahman in the interpretation of the words of al-Mannan, by the scholar Abd al-Rahman bin Nasir al-Saadi, the Honorable Makkah Foundation, without other information.
19- Collector of letters. Shaykh al-Islam Ahmad Ibn Taymiyyah. investigation / d. Mohamed Rashad Salem; Dar Al-Atta', Riyadh, First Edition, 1422 AH - 2001 AD.
20- Collector of issues. Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Taymiyyah al-Harrani al-Dimashqi. Investigated by: Muhammad Shams - Dar Alam Al-Fawa'id - Mecca Al-Mukarramah - First Edition 1422 AH.
21- The Collector of the Rulings of the Qur'an, by Imam Abi Abdullah Muhammad bin Ahmad Al-Ansari Al-Qurtubi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1413 AH.
22- The correct answer for those who changed the religion of Christ. Ahmad Ibn Taymiyyah Al-Harrani Al-Dimashqi. investigation/group of

investigators; House of the Capital - Riyadh - Second Edition 1419 AH - 1999 AD.

23- The Disease and the Medicine, by Imam Abi Abdullah Muhammad Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, investigative by Muhammad Ajmal Al-Islah, and Zaid Ahmad Al-Nashiri, Dar Alam Al-Fawa'id, First Edition, 1429 AH.

24- Warding off the conflict of reason and transmission, by Sheikh Al-Islam Ahmed Ibn Taymiyyah, investigation / d. Muhammad Rashad Salem; Imam Muhammad bin Saud University Press, First Edition, 1401 AH - 1981 AD.

25- Quranic studies. Muhammed Ibrahim. Dar Al-Shorouk, Cairo, second edition, 1400 AH - 1980 AD.

26- Minutes of Tafsir, by Abu al-Abbas Ibn Taymiyyah, collection / d. Muhammad Al-Sayyid Al-Jlind, Foundation for the Sciences of the Qur'an, Damascus, second edition, 1404 AH.

27- Reply to Al-Shazly. Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Taymiyyah al-Harrani al-Dimashqi. Investigated by: Ali Al-Omran - Dar Alam Al-Fawa'id - Mecca Al-Mukarramah - First Edition, 1429 AH.

28- Responding to the Logicians. Shaykh al-Islam Ahmad Ibn Taymiyyah. Publisher: Department of Tarjuman As-Sunnah, Lahore, Fourth Edition, 1402 AH - 1982 AD.

29- The Tabuk message. Muhammad ibn Abi Bakr ibn Qayyim al-Jawziyyah. Investigation: Dr. Muhammad Ghazi - Al-Madani Library - Jeddah - without other information.

30- The pillars of faith, Muhammad Ibrahim, Dar Ishbiliyah, I, I, 1417 A.H. - 1997 A.D.

31- The spirit of meanings in the interpretation of the Great Qur'an and the Seven Repetitions. For the scholar Abi al-Fadl Shihab al-Din al-Sayyid Mahmoud al-Alusi al-Baghdadi. Investigated by Muhammad Ahmad Al-Amad and Omar Abdul Salam Al-Salami, House of Revival of Arab Heritage and Foundation for Arab History, Beirut, First Edition 1420 AH - 2000.

32- The Kindergarten of Lovers and the Excursion of the Missing Ones. Muhammad ibn Abi Bakr ibn Qayyim al-Jawziyyah. Scientific Books House - Beirut - i 1403 AH - 1983 AD.

33- Asceticism, piety, and worship, by Sheikh Al-Islam Ahmed bin Taymiyyah, investigation / Hammad Salameh, and Muhammad Awadah,

Al-Manar Library, Jordan, first edition 1407 AH.

34- Explanation of the Asbahaniah. Shaykh al-Islam Ahmad Ibn Taymiyyah. investigation / d. Mohammed Al-Sawy; Dar Al-Minhaj, and Dar Judeh, Riyadh, First Edition, 1430 AH.

35- Explanation of the Five Fundamentals. For Judge Abdul-Jabbar bin Ahmed. investigation / d. Abdul Karim Othman; Wahba Library, 3rd Edition, 1416 AH - 1996 AD.

36- Explanation of the Isfahani Creed. Sheikh of Islam Ahmed bin Taymiyyah. Investigated by Said Nasr; Al-Rushd Library, Riyadh, First Edition, 1422 AH - 2001 AD.

37- Explanation of the Saffarinian Creed, by Sheikh Muhammad bin Saleh bin Uthaymeen, Madar al-Watan, I, 1426 AH.

38- Explanation of the Tahawiyah Creed. Ibn Abi al-Izz al-Adhra'i al-Hanafi. Investigated by a group of scholars, and graduated by: Muhammad Nasir al-Din al-Albani; The Islamic Office, Beirut, 8th Edition, 1404 AH - 1984 AD.

39- Explanation of the Wasitiyya Creed. Muhammad Khalil Harras. Carefully: Alawi Saqqaf - Dar Al-Hijrah - Al-Khobar - Third

Edition, 1415 AH.

40- Healing the sick in matters of fate, predestination, wisdom and reasoning. By Imam Abi Abdullah Muhammad Ibn Qayyim Al-Jawziyyah. Editing / Al-Hassani Hassan Abdullah; Heritage House, Cairo, without other information.

41- The thunderbolts sent in response to the Jahmiyyah and the Mu'tila. By Imam Abi Abdullah Muhammad Ibn Qayyim Al-Jawziyyah. investigation / d. Ali Al-Dakhil Allah, Dar Al-Asima, Riyadh, I, I, 1408 AH.

42- The major Shafi'i layers. Tag al-Din Abd al-Wahhab ibn Ali ibn Abd al-Kafi al-Subki. Investigation / Mahmoud Al-Tanahi, and Dr. Abd al-Fattah al-Helou; Hijr for Printing and Publishing, second edition, 1413 AH.

43- Judicial methods. Muhammad ibn Abi Bakr ibn Qayyim al-Jawziyyah. Dar Al-Bayan, without other information.

44- The Two Emigration Roads and Bab Al-Saadatayn. By Imam Abu Abdullah Muhammad Ibn Qayyim Al-Jawziyyah. Investigated by Muhammad Ahmad al-Islah and Zaid al-Nashiri, Dar Alam al-Fawa`id, Makkah al-Mukarramah, I, 1429 AH. And the

Salafi House edition, second edition, 1394 AH.

45- 92 - The Great Fatwas. Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Taymiyyah al-Harrani al-Dimashqi. Scientific Book House - First Edition, 1408 A.H. - 1987 A.D.

46- 93 - Fath al-Bari with the explanation of Sahih al-Bukhari. For Imam Al-Hafiz Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani. Investigated by Muhib al-Din al-Khatib, Muhammed Fouad Abd al-Baqi, and Qusay Muhib al-Din al-Khatib; Dar Al Rayan Heritage, Cairo, 2nd Edition, 1409 AH - 1988 AD.

47- Separation of boredom, whims and bees. For Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Hazm Al-Andalusi. investigation / d. Muhammad Ibrahim Nasr, and Dr. Abdul Rahman Amira; Obeikan Bookstores Company, first floor, 1402 AH - 1982 AD.

48- Al-Fawa’id, by Imam Abi Abdullah Muhammad Ibn Qayyim Al-Jawziyah, investigative/ Muhammad Aziz Shams, Dar Alem Al-Fawa’id, Makkah Al-Mukarramah, First Edition 1429 AH. And the Scientific Books House - Beirut - second edition, 1393 AH - 1973 AD.

49- The Book of Names and Attributes. For Imam

Abu Bakr Ahmed bin Al-Hussein Al-Bayhaqi. investigation / d. Abdullah Muhammad Al-Hashidi, Al-Sawadi Library, Jeddah, First Edition, 1413 AH - 1993 AD.

50- The Book of Fundamentals of Religion. For Abu Mansour Abdul Qaher bin Taher Al-Baghdadi. Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 3rd Edition, 1401 AH - 1981 AD.

51- The Book of Tariffs, by Ali bin Muhammad Al-Jurjani, investigated by Ibrahim Al-Abyari; Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, second edition, 1413 AH - 1992 AD.

52- The Book of Religion. For Abu Mansour Abdul Qaher bin Taher Al-Baghdadi. Scientific Books House, Beirut, 3rd Edition, 1401 AH - 1981 AD.

53- Kitab al-Rouh, by Imam Abi Abdullah Muhammad Ibn Qayyim al-Jawziyya, Investigated by Muhammad Ahmad al-Islah, and Kamal Qalmi, Dar Alem al-Fawa'id, Mecca, the second edition, 1436 AH.

54- The Book of Sharia, by Imam Abu Bakr Muhammad bin Al-Hussein Al-Ajri, investigation / d. Abdullah bin Omar Al-Dumaiji; Dar Al-Watan, Riyadh, First Edition, 1418 A.H. - 1997 A.D.

55- The Safadiah Book, by Sheikh Al-Islam Ahmad

Ibn Taymiyyah, investigated by / Dr. Muhammad Rashad Salem; Ibn Taymiyyah Library, Cairo, Second Edition, 1406 AH.

56- The revealer of the truths of the mysteries of the download and the eyes of gossip in the face of interpretation. By Imam Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari. Carefully / Mohamed Abdel Salam Shaheen; Dar Alam Al-Kutub, Beirut, 3rd Edition, 1424 AH - 2002 AD.

57- Colleges ((A Dictionary of Terms and Linguistic Differences)). For my father to stay Ayoub bin Musa al-Husayni al-Kafwi. investigation / d. Adnan Darwish, and Muhammad al-Masri; Al-Resalah Foundation, First Edition, 1412 AH - 1992 AD.

58- The door of interpretation in the meanings of downloading. Aladdin Ali bin Muhammad bin Al-Baghdadi, known as Al-Khazin. Edited and corrected by Abd al-Salam Shaheen. Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, First Edition, 1415 AH - 1995 AD.

59- Lisan Al Arab. Mohammed bin Makram bin Manzur Al-Masry. Dar Sader, Beirut, First Floor, without other information.

60- Total. of Imam al-Nawawi. Dar Al-Fikr, Beirut,

ed. 1997, without other information.

61- Total Fatwas. Sheikh of Islam Ahmed bin Taymiyyah. Collection and arrangement / Abdul Rahman bin Qasim; Dar Alam Al-Kutub, 1412 AH, 1991 AD.

62- Group of Messages. Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Taymiyyah al-Harrani al-Dimashqi. Investigation: Muhammad Rashad Salem - Arab Heritage Committee - without other information.

63- The Synthesis of the Ideas of the Precedents and the Later of the Wise and the Mutakallim, by Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Razi, investigation / d. Hussein Atay, Dar Al-Turath Library, Cairo, First Edition, 1411 AH - 1991 AD.

64- The abbreviation of the thunderbolts sent on the Jahmiyyah and the Mu'tillah. Muhammad ibn Abd al-Karim al-Baali summarized it; Ibn Al-Mosili. Investigation: Seyyed Ibrahim, Dar Al-Hadith - Cairo - First Edition, 1422 A.H. - 2001 A.D.

65- Summary of Egyptian Fatwas. Shaykh al-Islam Ahmad Ibn Taymiyyah. Shortened by / Badr al-Din al-Baali al-Hanbali, carefully / Abd al-Majid Salim; Scientific Books House, Beirut,

without other information.

66- The paths of those who walk, between You we worship and You we seek help. By Imam Abi Abdullah Muhammad Ibn Qayyim Al-Jawziyyah. Investigation / Muhammad Hamid al-Fiqi, Library of the Sunnah of Muhammad, and Library of Ibn Taymiyyah, Cairo, without other information.

67- Milestones of Usul al-Din, by Fakhr al-Din al-Razi, investigated by Taha Abdel-Raouf Saad; Scientific Books House, Lebanon, 1404 A.H. - 1984 A.D.

68- The Indexed Dictionary of the Words of the Noble Qur'an, compiled by Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Dar Al-Rayyan Heritage, and Dar Al-Hadith, 1407 AH - 1987 AD.

69- Key to the House of Happiness and the Publication of the State of Knowledge and Will. Imam Ibn Qayyim Al-Jawziyah, 751 A.H. Dar Al-Kutub Al-Alimah, Beirut, First Edition, 1413 AH - 1993 AD.

70- The Key to the House of Happiness and the Publication of the Guardianship of Knowledge and Will. By Imam Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr, Ibn Qayyim Al-Jawziyah. Investigated by Abdur Rahman Qaid, Dar

Alam Al-Fawa'id, Makkah Al-Mukarramah, 2nd Edition, 1436 AH.

71- Boredom and bees. Abu al-Fath Muhammad bin Abdul Karim al-Shahristani. Investigation by Abdel Amir Ali Muhanna and Ali Hassan Faour; House of Knowledge, Beirut, Lebanon, First Edition, 1410 A.H. - 1990 A.D.

72- Minhaj of the Prophetic Sunnah. Ahmad Ibn Taymiyyah al-Harrani of Damascus. Investigation: Muhammad Rashad Salem. Imam Muhammad bin Saud Islamic University - First Edition - 1406 A.H. - 1986 A.D.

73- Consents in the Fundamentals of Sharia. For Imam Ibrahim bin Musa Al-Lakhmi Al-Shatibi. Investigation: Abdullah Diraz, Dar al-Maarifa, Beirut, without other information.

74- Positions in theology. Adud al-Din Judge Abd al-Rahman bin Ahmad al-Iji. World of Books, Beirut, without other information.

75- The position of Sheikh al-Islam Ibn Taymiyyah from the views of the philosophers and his approach to presenting them, d. Saleh Al-Ghamdi, Al-Maaref Library, Riyadh, First Edition, 1424 AH - 2003 AD.

76- The Prophecies. Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Taymiyyah al-Harrani al-Dimashqi.

Investigated by: Abdul Aziz Al-Tawyan; Dar Adwaa al-Salaf - Riyadh - First Floor, 1420 AH, 2000 AD.

77- Arrange the pearls in proportion to the verses and the surahs. For Abu Al-Hassan Ibrahim bin Omar Al-Beqai. Carefully / Abd al-Razzaq Ghalib al-Mahdi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, First Edition, 1415 AH - 1995 AD.

78- These are our concepts. Saleh bin Abdul Aziz Al Sheikh. Administration of Mosques and Charitable Projects - Riyadh II 1422 A.H. - 2001 A.D.

79- The Hereafter Promise: Conditions and Contraindications. Written by / Dr. Issa bin Abdullah Al-Saadi. Dar Alam Al-Fawa'id, Makkah Al-Mukarramah, First Edition, 1422 AH.



فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	ملخص البحث	١٧٣٧
٢	المقدمة	١٧٣٩
٣	المبحث الأَوَّل : خلاصة مقالات النَّاس في المعاد	١٧٤٣
٤	القول الأَوَّل	١٧٤٣
٥	القول الثَّاني	١٧٤٤
٦	القول الثَّالث	١٧٤٧
٧	محصِّل مذهب الفلاسفة أَنَّهم جعلوا للمعاد صورتين	١٧٤٨
٨	القول الرَّابع	١٧٤٨
٩	المبحث الثَّاني : كمال العلم الإلهي	١٧٥٢
١٠	الحقيقة الأولى	١٧٥٣
١١	الحقيقة الثَّانية	١٧٥٤
١٢	الحقيقة الثَّالثة	١٧٥٤
١٣	الحقيقة الرَّابعة	١٧٥٤
١٤	المبحث الثّالث : كمال القدرة الإلهيَّة	١٧٦٤

م	الموضوع	الصفحة
١٥	الأدلّة القرآنيّة	١٧٦٤
١٦	آية الكرسيّ وما تضمّنته من دلائل	١٧٦٦
١٧	دلالة خلق النّجوم على القدرة	١٧٧١
١٨	المبحث الرَّابع : كمال الإرادة الرّبّانيَّة	١٧٧٤
١٩	من أدلّة الإرادة الدِّينيّة	١٧٧٧
٢٠	من أدلّة الإرادة الكونيَّة	١٧٧٨
٢١	طوائف ضلّت في المسألة	١٧٧٩
٢٢	المبحث الخامس : كمال الحكمة الرّبَّانيَّة	١٧٨٩
٢٣	من الأدلّة القرآنيَّة على الأصل الأوَّل (تدبّر كلامه سبحانه)	١٧٩٨
٢٤	من الأدلّة القرآنيَّة على الأصل الثَّاني (النَّظر في آثار أفعاله)	١٧٩٩
٢٥	الخـــاتمـــة.	١٨٠٦
٢٦	ثبـــت بأهم المصادر والمراجـــع.	١٨٠٨
٢٧	فهـــرس المـــوضـــوعـــات.	١٨٣٥

تم بحمد الله



